أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠١

أهم وأخطرحدث في القرن الواحد والعشرين

و

نقطة تحول عظمى في سياسة الولايات المتحدة

القسم السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة العدد

ما حدث في اليوم الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ كان أهم حدث بعد سقوط الإتحاد السوفييتي عام ١٩٩١ على الإطلاق، وكان نقطة تحول كبرى أعطى قوة دفع هائلة للمشروع الإمبراطوري الأمريكي،الذي لايريد أن يسمح بظهور أية قوة آخرى منافسة في العالم مثل الصين أو الإتحاد الاوربي على مدي العقود القادمة على الأقل. هذه الأحداث هي التي سهلت مهمة السيطرة على أفغانستان وما يستتبعها من سيطرة نفطية ونفوذ وإقامة قواعد عسكرية في المنطقة المحاذية للصين ودول الاتحاد السوفييتي السابق.وكذلك سهلت هذه الأحداث عملية غزو العراق والسيطرة على نفطه

وثرواته.والآتي أكثر وأكبر.وعلى أية حال فالمتتبع للأحداث بعد هذه الأنفجارات يدرك وبجلاء إن هذا اليوم هو يوماَ تأريخياَ في تأريخ الولايات المتحدة والعالم، ومن مظاهر هذه الأهمية هو العدد الهائل من النتائج التي تظهر في شبكة الإنترنت عند البحث عن كلمة ١١ أيلول/سبتمبر الذي يقدر ببضعة آلاف! فمن الطبيعي إن حدثاَ بمثل هذه الأهمية أن تخصص له مثل هذا الكم الضخم من المقالات والدراسات والأبحاث والكتب والتعليقات والبرامج في الفضائيات وغيرها.

فبناءاَ على ذلك كان من الطبيعي والضروي أن نخصص عدداَ من أعداد المتابع الإستراتيجي لتناول حدثاَ بمثل هذه الضخامة والأهمية من خلال عرض شريط الاخبار المرتبطة وتناول بعض الدراسات والمقالات المهمة والممتازة التي كتبها بعض الشخصيات المرموقة والمعتبرة،مثل ليندون لاروش وويسلي كلارك و ديفيد ديوك و جيمس بامفورد وتييري ميسان وجوفيالز و لورنس تماي و فريد مارشال و فريد هاليداي و مايك روبرت وجور فيدال و محمد حسنين هيكل وغيرهم كما سيتبين في صفحات هذا العدد.

في هذا القسم من هذا العدد نستعرض خلاصة كتابي الصحفي الفرنسي تييري ميسان، الذين كثيراَ ما تمت الإشارة اليهما في ثنايا المقالات والدراسات المذكورة في الأقسام الخمسة السابقة ،وهما:

- التزييف المخيف
- وبنتاجيت

نقلاَ عن صحيفة البيان الإماراتية

كتاب ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، التزييف المخيف، الحلقة الاولى

صدر هذا الكتاب في منتصف شهر مارس الماضي، واثار ضجة كبيرة لدى صدوره. وقد اصبح حديث الناس، منذ ان استضاف برنامج تلفزيوني فرنسي على القناة الثانية مؤلفه تييري ميسان، صحافي التحقيقات الذي درس العلوم السياسية واصدر كتابين حول سيرة حياة وزير الدفاع الفرنسي الاسبق شارل ميون ووزير الداخلية الفرنسي الاسبق شارل باسكوا. ويشكك المؤلف بالكثير من الطروحات الامريكية حول ما جرى يوم ١١ سبتمبر بل ويؤكد انه لم تتحطم اي طائرة على مبنى «البنتاجون في ذلك اليوم». يقول المؤلف في مقدمة كتابه:«الرواية الرسمية ــ الامريكية ــ للاحداث لا تصمد امام التحليل النقدي. وسوف نبرهن على انها ليست سوى عملية «مونتاج» وتسمح المعلومات التي نقدمها في بعض الحالات ان تبين الحقيقة. اننا ندعوكم الى عدم اعتبار عملنا هذا حقيقة نهائية. بل وندعوكم الى التشكك، ولا تثقوا الا بحسكم النقدي».

هل تتذكرون الاعتداء على البنتاجون؟ لقد كانت تلك الاحداث من الخطورة بحيث انه كان من غير الممكن، تحت وقع المفاجأة، القيام بالالتقاط الفوري لتناقضات الرواية الرسمية الامريكية التي طرحت في هذا الصدد.

يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ قبيل الساعة العاشرة حسب توقيت واشنطن العاصمة اذاعت وزارة الدفاع الامريكية بيانا مقتضبا جاء فيه مايلي: «لاتزال وزارة الدفاع تواجه الهجوم الذي تعرضت له هذا الصباح في الساعة ٨,٣٥ ولا يتوفر حتى الان اي رقم حول عدد الضحايا اما الجرحى فقد تم نقلهم الى المستشفيات القريبة، وقد اعرب وزير الدفاع دونالد رامسفيلد عن تعاطفه مع اسر الضحايا الذين قتلوا وجرحوا من جراء هذا الهجوم المشين وهو يؤمن قيادة العمليات انطلاقا من مركز القيادة في البنتاجون، ولقد جرى اخلاء المبنى من موظفيه بينما تتصدى مصالح التدخل في حالات الطوارىء التابعة لوزارة الدفاع وللمناطق المجاورة للنيران وتقدم الاسعافات الاولية الضرورية، التقديرات الاولية للخسائر كبيرة، مع ذلك ينبغي ان تفتح وزارة الدفاع ابوابها غدا حيث تم تجهيز اماكن بديلة للعمل عوضا عن اقسام المبنى المصابة».

للوهلة الاولى للوهلة الاولى تبدو الوقائع جلية ولا تحتمل اي نقاش مع ذلك وعندما يتم التوغل في التفاصيل تغدو الايضاحات الرسمية مثيرة للتشوش ومتناقضة.

وقد اوضح المراقبون الجويون للطيران المدني لصحافيي الــ «كريستيان سيانس مونيتور» في ١٧ سبتمبر ٢٠٠١ انه حوالي الساعة ٨,٥٥ كانت الطائرة البوينج قد خفضت مسار طيرانها الى ارتفاع ٢٩ الف قدم، ولم تستجب للتعليمات بحيث اعتقد المراقبون في البداية ان هناك عطلا الكترونيا ثم قام الطيار الذي استمر بعدم الاجابة على النداءات، بفتح الراديو بشكل منقطع مما سمح بسماع صوت

رجل ذي لهجة عربية قوية كان يهدده، وعندها استدارت الطائرة نحو واشنطن، ثم فقد المراقبون الاتصال معها.

وحسب التعليمات السارية قام المراقبون الجويون المحليون بابلاغ ادارة الطيران المدني بخطف الطائرة وكان اغلبية المسئولين على المستوى القومي غائبين، حيث كانوا قد ذهبوا الى كندا لحضور مؤتمر مهني، وفي التضارب الذي ساد في ذلك اليوم، اعتقد المسئولون المناوبون في مقر الادارة الفيدرالية للطيران المدني، ان الابلاغ يخص الطائرة الثانية التي كان قد تم خطفها نحو نيويورك، وبعد مرور نصف ساعة فهموا ان الامر يتعلق بطائرة ثالثة جرى خطفها، وابلغوا بذلك السلطات العسكرية لقد كان ذلك الاهمال سببا فى ضياع ٢٩ دقيقة ثمينة.

وعندما تمت مساءلة الجنرال ريشار ماير يوم ٢٣ سبتمبر من قبل لجنة القوات المسلحة في الكونجرس، لم يستطع ان يحدد الاجراءات التي كان قد تم اتخاذها للتصدي لطائرة البوينج، وانتهى البرلمانيون الى نتيجة مفادها انه لم يتم اتخاذ اي اجراءات لكن هل يمكن تصديق بان جيش الولايات المتحدة بقي سلبيا اثناء الاعتداءات؟ ويوم ١٤ سبتمبر نشرت قيادة قوى الدفاع الجوي في امريكا الشمالية تصريحا لسد الثغرات التي ظهرت في ذاكرة الجنرال ريشار ماير، واشار ذلك التصريح الى انه لم يتم اخبارها بعملية خطف الطائرة الا عند التاسعة و ٢٤ دقيقة، وانه قد تم مباشرة اصدار الاوامر مباشرة لطائرتين من طراز «اف ــ ١٦» مقاتلتين من قاعدة «لانجلي» في فرجينيا باعتراض الطائرة البوينج لكن القيادة الجوية لم تكن تعرف اين توجد تلك الطائرة واعتقدت انها تريد ان تقوم باعتداء اخر في نيويورك ثم ان طائرة مقاتلة كانت قد اقلعت من القاعدة الرئاسية في سانت اندروز، وانها صادفت طائرة البوينج «المخطوفة» وانها قد تعرفت عليها ولكن جاء ذلك متأخرا.

لكن على الرغم من هاتين الروايتين ــ اي روايتي الجنرال ماير وقيادة قوات الدفاع الجوي ، هل يمكن تصديق ان منظومة الرادار العسكري الامريكي لم تكن قادرة على تحديد موقع البوينج في منطقة يبلغ قطرها عشرات الكيلو مترات فقط، وانه يمكن لطائرة مدنية كبيرة ان تنجو من طائرة اف ــ ١٦ المقاتلة التي تلاحقها؟ ثم اذا كانت الطائرة المخطوفة قد استطاعت تجاوز الحاجز الاول، فإنه كان يفترض اسقاطها عند اقترابها من البنتاجون والذي لاشك ان اجراءات الحماية المتخذة حوله هي بمثابة سر عسكري؟ مثلما هو الامر بالنسبة للبيت الابيض غير البعيد، لاسيما وان عدة احداث قد وقعت عام١٩٩٤ خاصة هبوط طائرة من طراز «سيسنار ــ ١٥٠ ل» كانت قد حطت في حديقة البيت الابيض ومن المعروف ايضا ان التجهيزات المضادة للطيران كانت تدار انطلاقا من القاعدة الرئاسية في سانت اندروز.

يقول كولونيل فيك وارزنسكي الناطق الرسمي باسم البنتاجون: «لم نكن نعي ان تلك الطائرة تستهدفنا وانني اشك كثيرا في انه قبل الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كان هناك من يمكن ان يتوقع وقوع مثل هذا الحدث».

هكذا، اذن، وبعد ان أفلتت تلك الطائرة من ملاحقيها، انهت رحلتها على البنتاجون.

وطائرة البوينج ٧٥٧ ــ ٢٠٠ هي طائرة ضخمة تستطيع ان تقل ٢٣٩ مسافراً وطولها ٤٧,٣٢ متراً وعرضها ٣٨,٠٥ متراً ووزنها مملوءة ١١٥ طناً وتصل سرعتها الى ٩٠٠ كيلو متر بالساعة.

اما البنتاجون فهو اكبر بناء اداري في العالم يعمل به كل يوم ٢٣٠٠٠ شخص. وقد تم بناؤه بموقع غير بعيد عن البيت الابيض. ولكن على الضفة الاخرى لنهر البوتوماك، وهو بهذا غير موجود في واشنطن وانما في ارلنجتون بولاية فيرجينيا المجاورة.
ان طائرة البوينج لتسبب اكبر قدر من الخسائر كان يفترض ان تصطدم بسقف البنتاجون.
وكان ذلك هو الحل الابسط بسبب مساحة ذلك السقف الكبيرة، لكن على العكس من ذلك قرر الارهابيون ان يضربوا واجهته على الرغم من ان علوها لا يبلغ سوى ٣٤ متراً.
كانت تلك الطائرة قد اقتربت من الارض وكأنها كانت تريد الهبوط. ومع احتفاظها بوضع افقي، هبطت تقريباً بصورة شبه عمودية من دون ان تخرب المصابيح الموجودة على الطريق المجاور لموقف سيارات البنتاجون.
وعند انخفاض مستوى الطيران تنفتح آلية الهبوط اوتوماتيكياً.. وعلى الرغم من ان علو هذه الآلية يبلغ ١٣ متراً اي ما يعادل ثلاثة طوابق، فان الطائرة قد صدمت واجهة المبنى على ارتفاع الطابقين الارضي والاول. وهذا يتطلب ان يكون قد تم نزع آلية الهبوط قبل ان تهبط الطائرة على قاعدة البنتاجون. وهذا كان «كما يبين غلاف الكتاب» من دون ان تخرب عشب الحديقة الانيق او الجدار، او موقف السيارات او مهابط طائرات الهليوكبتر.وعلى الرغم من وزن الطائرة وسرعتها فانها لم تحطم سوى الحلقة الاولى من البناء.. لكن البنتاجون كله احس بالصدمة. ثم ان وقود الطائرة المخزن في الجناحين قد اشتعل، وانتشرت النيران في المبنى. لقد لاقى ١٢٥ شخصاً حتفهم، يضاف لهم الــ ٦٤ شخصاً الذين كانوا يستقلون الطائرة.
وتشاء الصدفة «؟» ان تصدم الطائرة جزءاً من البنتاجون كان يجري ترميمه وبحيث يضم هذا القسم مركز قيادة البحرية الجديد. كانت عدة مكاتب شاغرة، وكان البعض فيها يضم عدداً من العاملين الذين كانوا يقومون باعمال الترميم. وهذا ما يفسر واقع ان اغلبية الضحايا كانوا من المدنيين، ولا يوجد سوى جنرال واحد بين الضحايا العسكريين.
بعد نصف ساعة من الصدمة انهارت الطوابق العليا.

رواية يصعب ابتلاعها

هذه العناصر الاولى للحدث تبقى معقولة بدرجة محدودة، ولكن بقية الرواية الرسمية غير ممكنة بوضوح.

واذا قمنا بعملية تصور شكل الطائرة في الصورة المأخوذة بواسطة الاقمار الصناعية فإننا نلاحظ ان مقدمة ــ أنف ــ طائرة البوينج هي التي دخلت وحدها في المبنى. اما جسدها وجناحاها فقد ظلا في الخارج. اي ان الطائرة قد توقفت من دون ان تضرب الواجهة بجناحيها اذ انه لا تبدو أية آثار سوى تلك التي تركتها مقدمة الطائرة. وهذا يعني انه ينبغي رؤية جسد الطائرة وجناحيها خارجاً على العشب.

واذا كانت مقدمة الطائرة مصنوعة من توليفة تذوب سريعاً واذا كان الجناحان ــ اللذان يحتويان الوقود ــ قابلين للاحتراق، فان بدن الطائرة مصنوع من مادة يمكن مقارنتها بتلك التي تستخدم في صناعة السيارات. ونتيجة الاحتراق ينبغي ان تترك هيكلاً متكلساً. واذا تمت العودة الى الصورة الخاصة بوكالة الاسوشيتدبرس «المنشورة على غلاف الكتاب» فانه يمكن مشاهدة انه لم تكن هناك طائرة، هذا على الرغم من انه كان قد تم التقاط الصورة بعد دقائق فقط من الاعتداء، حيث تبدو سيارات الاطفاء وقد وصلت، لكن رجال الاطفاء لم يكونوا قد انتشروا بعد؛ ولم تكن الطوابق العليا للمبنى قد انهارت.

واثناء المؤتمر الصحافي الذي عقد في ١٢ سبتمبر حدد ضابط اطفاء منطقة ارلنجتون بلوجر الموقف بأن رجاله قد كافحوا لمنع انتشار الحريق في مبنى البنتاجون، ولكن تم استبعادهم عن المكان المحدد للاصطدام. إذ أن الفرق الخاصة التابعة للوكالة الفيدرالية للتدخل في الاحوال المأساوية الطارئة هي التي تدخلت في موقع التماس مع الطائرة.

وقد دار اثناء ذلك المؤتمر الحديث السريالي التالي : ــ صحافي: ماذا بقي من الطائرة؟ ــ الكابتن بلوجر: في المقام الاول مسألة الطائرة كانت هناك نتف من الطائرة رأيناها من الداخل اثناء عمليات مكافحة النار التي اتحدث عنها. ولكنها لم تكن بقايا كبيرة. بتعبير آخر لم تكن هناك قطع كبيرة من جسد الطائرة او ماشابه ذلك.

ــ الصحافي: «هناك قطع من الطائرة تنتشر في كل مكان وحتى على الطريق المجاور ــ قطع صغيرة جداً. هل تعتقد بان الطائرة قد انفجرت لحظة الصدمة بسبب الوقود او ....».

ــ الكابتن بلوجر: «انني افضل عدم الخوض في هذا الموضوع. فلدينا عدد من شهود العيان الذين يستطيعون اخبارك بشكل افضل فيما جرى للطائرة اثناء اقترابها. فنحن لا نعرف انا، لا اعرف».

هكذا وعلى الرغم من ان عدداً من الرسميين والبرلمانيين والعسكريين قد زعموا انهم قد شاهدوا سقوط الطائرة، فانه ليس هناك من رأى اي قطعة منها، ولا حتى آلية الهبوط. ليس هناك سوى بقايا صغيرة من المعدن. اما عدسات حراسة موقف سيارات البنتاجون، فانها لم تر ايضاً طائرة البوينج في اي لحظة أو من اي زاوية.

ولنلخص الرواية الرسمية، لقد استطاعت طائرة بوينج مخطوفة الهرب من طائرة اف ــ ١٦ كانت تلاحقها واستطاعت اختراق جميع وسائل الدفاع الجوي لواشنطن. وانها قد حطت بصورة عمودية على موقف سيارات البنتاجون مع محافظتها على الوضع الافقي لتصدم واجهته على مستوى الطابق الارضي. ولم تدخل سوى مقدمتها في البناء اذ توقفت قبل دخول جناحيها. اما جسدها فقد تلاشى مباشرة. اما الوقود الموجود في جناحيها فلم يحترق الا المدة التي ادت الى اثارة حريق في المبنى...

كذبة بعد اخرى مع كل الاحترام الذي ينبغي علينا تقديمه للمكانة العالية لــ «شهود العيان» من رسميين وبرلمانيين، فانه يصعب قبول مثل هذه الرواية. ثم ان هذه الرواية قد جرى تركيبها بالتدريج، كذبة بعد اخرى. واذا تمت العودة الى التصريح الاولى للبنتاجون فانه يبدو ان الامر لم يكن يتعلق بطائرة بوينج، اما نظرية «الطائرة الانتحارية» فلم تظهر الا بعد نصف ساعة. ثم ان رئيس الاركان نفى قيام الطائرات المقاتلة باعتراضها. وبعد يومين اخترعت قيادة الدفاع الجوي لامريكا الشمالية حكاية ضياع الــ اف ــ ١٦ وابتعادها عن هدفها.

ان الرواية الرسمية هي مجرد دعاية. لكن هناك ١٢٥ شخصاً قد لقوا حتفهم في البنتاجون وان طائرة ركاب كانت تقل ٦٤ راكباً قد اختفت. فما هو اذن سبب الانفجار الذي حدث في البنتاجون؟ وما هو مصير الرحلة ٧٧ للخطوط الجوية الامريكية؟ وهل مات ركابها؟ فاذا كانت الاجابة بنعم، فمن الذي قتلهم؟ ولماذا؟ واذا كان الجواب بالنفي فأين هم؟ انها اسئلة كثيرة على الادارة الامريكية الاجابة عنها؟ ينبغي التساؤل بصفة خاصة عما تحاول الرواية الرسمية إخفاءه، وعندما قامت قناة السي ان ان التلفزيونية في اليوم التالي بعد الاعتداءات بسؤال الجنرال ويسلي كلارك القائد الاعلى السابق لقوات الحلف الاطلسي اثناء حرب كوسوفو اجاب: كنا على علم منذ فترة بان مجموعات ما كانت تخطط لهجوم على البنتاجون وبالطبع لم نكن نعرف ما يكفي من معلومات للتحرك، ان هذا التأكيد المبهم لم يشر ابدا الى اي معتد خارجي، وانما الى التهديدات الصادرة عن اوساط اليمين المتطرف الامريكي ضد البنتاجون، كما انه يسمح باستشفاف وجود مواجهات سرية تمزق الطبقة السياسية في الولايات المتحدة.

كلام مبارك وفي ١٥ سبتمبر ٢٠٠١ التقت قناة «السي.ان.ان» التلفزيونية بالرئيس المصري حسني مبارك الذي لم تتوافر لديه انذاك المعلومات التي نمتلكها الان بالمقابل كانت لديه معلومات سرية حول التحضير للاعتداءات وكان قد نقلها قبل عدة اسابيع للحكومة الامريكية.

قال الرئيس حسني مبارك في مقابلة لم يكن هناك اي جهاز استخبارات في العالم يستطيع القول انهم سوف يستقلون طائرات مدنية ورحلات تجارية جوية برفقة عسكريين لتحطيمها بذلك على برجي مركز التجارة الدولية والبنتاجون واولئك الذين فعلوا ذلك من المفروض ان يكونوا قد حلقوا فوق تلك المنطقة من اجل معرفة العقبات التي سيصادفونها عند الطيران على ارتفاع منخفض بطائرة تجارية كبيرة وذلك قبل ان يصيبوا البنتاجون في موقع محدد.

لابد ان هناك من درس ذلك بشكل جيد، وحلق طويلا فوق المنطقة ويستمر الحوار بين السي.ان.ان ومبارك.

ــ سي.ان.ان: هل تريد ان توحي بأن الامر قد يتعلق بعملية داخلية، وهل استطيع ان اسألك من يمكن ان يكون وراء هذا برأيكم؟ ــ مبارك: بصراحة، إنني لا اريد الخروج بنتائج سريعة انتم في الولايات المتحدة عندما تلقون القبض على احدهم تسري الشائعات بسرعة وتقولون: هذا ليس مصريا هذا سعودي او غير ذلك، وهؤلاء جميعا عرب والناس يعتقدون بأنهم من العرب، من الافضل التروي والانتظار.

وهل تتذكرون اوكلاهوما سيتي؟ لقد سرت الشائعات مباشرة لاتهام العرب، بينما لم يكن العرب هم الذين فعلوا ذلك، كما تعرفون فلننتظر ولنر إلام ستؤدي نتائج التحقيق ولان هذه الامور التي تم اقترافها في الولايات المتحدة، فإنه ليس من السهل على طيارين كانوا قد تلقوا تدريبهم في فلوريدا، وهناك الكثيرون الذين يتدربون من اجل الحصول على رخصة قيادة الطائرة لكن هذا لا يعني انهم قادرون على القيام بمثل هذه الاعمال الارهابية انني اتحدث لكم كطيار سابق، انني اعرف هذا جيداً ولقد قمت بقيادة طائرات ضخمة وطائرات مقاتلة واعرف هذا جيدا، وهذه ليست امورا سهلة، كذلك اعتقد بأنه ينبغي عدم الخروج بالنتائج على عجل.

واذا كانت ادارة بوش قد زورت الاعتداء على البنتاجون كي تخفي مشكلات داخلية، فهل قامت ايضا بإخفاء بعض العناصر الخاصة بالاعتداءات على مركز التجارة الدولية بنيويورك؟

كتاب ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التزييف المخيف، الحلقة الثانية

فلنتذكر اولاً الكيفية التي تم بها تقديم اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، يوم الثلاثاء ذاك وعند الساعة الثامنة وخمسين دقيقة قطعت قناة الــ «سي. ان. ان» بثها العادي كي تعلن بأن طائرة نقل مدنية قد صدمت البرج الشمالي من مركز التجارة الدولي بنيويورك، وبما انه لم تكن هناك عملية تصوير حيّة فإن القناة عرضت على الشاشة صورة ثابتة لسطوح نيويورك تسمح برؤية الدخان يتصاعد من بعيد من البرج.

تم الحديث اولاً عن حادث ارتطام. حادث طيران عادي، فشركات النقل التي كانت على حافة الافلاس اصبحت تهتم اقل فأقل بصيانة طائراتها. هذا بالاضافة الى عدة مواطن خلل اخرى بحيث ان الذي كان يمكن ان يقع قد وقع بالفعل.

مع ذلك لم تستثن قناة الـــ «سي. إن. إن» ان يكون الحادث ليس عرضياً.. وربما ان الامر يتعلق بعمل ارهابي.. اذ لايزال الناس يذكرون يوم ٢٦ فبراير ١٩٩٣ عندما انفجرت شاحنة مفخخة في محطة وقوف السيارات بالطابق الارضي لمركز التجارة العالمي مما ادى الى مقتل ستة اشخاص وجرح ألف اخرين. وقد تم تحميل مسئولية هذا الانفجار للشيخ عمرعبدالرحمن.

هكذا اعتبر معلقو قناة الـــ «سي. إن. إن» بانه اذا كان ارتطام الطائرة بالبرج الشمالي هو اعتداء ارهابي فمن المحتمل ان يكون برأيهم، من تدبير الملياردير السعودي السابق اسامة بن لادن الذي كان قد دعا عبر عدة فتاوى انطلاقاً من افغانستان الى ضرب امريكا واسرائيل، اعتباراً من عام ١٩٩٦.

ولقد بدأت القنوات التلفزيونية الامريكية الواحدة تلو الاخرى بثها المباشر انطلاقاً من نيويورك. وعند الساعة التاسعة وثلاث دقائق. صدمت طائرة نقل مدني اخرى البرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي. لقد حدث الانفجار في الوقت الذي كانت فيه قنوات تلفزيونية عديدة تبث صورة البرج الشمالي الذي تلتهمه النيران. هكذا قامت بتصوير العملية التي قامت بها الطائرة الثانية من مختلف الزوايا وعاش ملايين المشاهدين في العالم الحدث مباشرة. كانت الولايات المتحدة الامريكية تواجه اذن عملية عدوان عليها فوق اراضيها. وقد قامت سلطات مرفأ نيويورك، خشية ارتكاب عمليات بواسطة السيارات المفخخة، باغلاق جميع الجسور والانفاق في حي مانهاتن. (كانت هناك اذن خشية ارتكاب اعتداءات على الارض!). وعند الساعة التاسعة و٤٠ دقيقة، انذرت شرطة نيويورك السكان بامكانية ان تقوم طائرات اخرى بضرب ابراج جديدة. وعلى تمام الساعة العاشرة حيث تم الاعلان عن هجوم اخر استهدف مبنى البنتاجون في واشنطن، وبنفس اللحظة كان البرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي ينهار حيث يشاهده مباشرة الملايين على شاشات التلفزة. ثم وفي الساعة العاشرة و ٢٩ دقيقة كان دور البرج الشمالي بالانهيار. لقد غطت غيمة من الغبار سماء مانهاتن واشير عندها الى احتمال وقوع عشرات الآلاف من الضحايا. ان الحرارة الكبيرة التي اطلقها احتراق وقود الطائرتين ادت الى ذوبان البنى المعدنية.

اغلق حاكم نيويورك «جورج باتاكي» جميع المكاتب الرسمية واستدعى الحرس الوطني. وقد قال «رودولف جولياني» رئيس بلدية نيويورك بالهاتف لمحطة «نيويورك وان» موجهاً حديثاً لابناء مدينة نيويورك: «على اولئك الذين لا يتواجدون في هذه اللحظة بحي مانهاتن، ان يبقوا في منازلهم او مكاتبهم. واذا كنتم في مركز الاعمال، فما عليكم سوى ان تتوجهوا بهدوء الى خارج منطقة الهجوم، وتحركوا بهدوء كي لا تعيقوا عمل عمليات الانقاذ. علينا ان ننقذ اكبر قدر ممكن من الارواح.

كانت هناك جماهير غفيرة تقدر بعشرات الآلاف من الاشخاص تجتاز آنذاك الجسور (التي كان قد تم اغلاقها امام سير العربات) هرباً من حي مانهاتن.

وعند الساعة ١٧٢٠ انهارت العمارة السابعة من مركز التجارة العالمي رغم انها لم تكن قد اصيبت بأية طائرة ولم يؤد الانهيار الى مقتل اي شخص، كانت مصالح الطوارئ في نيويورك تعتقد بأن البناء قد اصابته الاضرار بسبب انهيار البرجين الاولين، وكانت هناك ابنية مجاورة اخرى مهددة بالانهيار، هذا وكانت بلدية نيويورك قد طلبت ثلاثين الف كفن.

بعد ظهر ذلك اليوم وفي الايام التالية كان قد تم تركيب سيناريو الهجوم حيث قيل بأن مجموعات من شبكات ابن لادن موزعة بفرق مؤلفة من خمسة اشخاص، وكانوا مزودين بمشارط كانوا قد قاموا بخطف الطائرات، ثم انقضوا على برجي مركز التجارة العالمي بـــ «طائراتهم الانتحارية».

للوهلة الاولى تبدو الوقائع لا يرقى لها الشك ولا تحتمل اي نقاش. مع ذلك بقدر ما نغور في التفاصيل تبدو التناقضات اكثر فأكثر.

لقد حدد مكتب التحقيقات الفدرالي الامريكي «اف. بي. آي» الطائرات انها من طراز بوينج ٧٦٧ تعود ملكية الاولى للخطوط الجوية الامريكية ــ امريكان ايرلاين ــ كانت تقوم بالرحلة ١١ من بوسطن الى لوس انجلوس وتعود ملكية الثانية لشركة يونانية ايرلاين وكانت تقوم بالرحلة ١٧٥ من بوسطن الى لوس انجلوس ايضاً، وكانت هاتان الشركتان قد اعترفتا بأنهما قد فقدتا الطائرتين.
وبفضل وجود مسافرين كانوا يحملون معهم هواتف خلوية ــ نقالة ــ واستطاعوا ان يتحدثوا هاتفياً مع ذويهم خلال العملية تمت معرفة ان القراصنة قد جمعوا الركاب في مؤخرة الطائرة كما يجري عادة من اجل عزل مقصورة القيادة. وقد كان الامر سهلاً بسبب وجود عدد قليل من المسافرين بواقع ٨١ مسافراً بالنسبة للرحلة ١١ و ٥٦ بالنسبة للرحلة ١٧٥ وبحيث ان كلاً من الطائرتين كانت تستطيع ان تقل ٢٣٩ راكباً. وتدل المعلومات التي كشف عنها المسافرون بواسطة هواتفهم المحمولة بان القراصنة لم يكونوا يمتلكون سوى السلاح الابيض باستثناء الرحلة ٩٣ التي كانت قد انفجرت طائرتها فوق بنسلفانيا حيث كان القراصنة يحملون علبة قالوا انها تحتوي على قنبلة، وبعد ان تم اغلاق المجال الجوي للولايات المتحدة الامريكية هبطت جميع الطائرات التي كانت في الجو حيث قامت عناصر مكتب التحقيقات الفدرالي الامريكي بتفتيشها. وفي حالتين تخصان الرحلة ٤٣ التي كانت تصل نيويورك بلوس انجلوس والرحلة ١٧٢٩ بين نيويورك وسان فرانسيسكو تم العثور على مشارط شبيهة بالتي كان قد تم استخدامها في الطائرتين اللتين تحطمتا على برجي مركز التجارة العالمي وكان قد تم اخفاء تلك المشارط تحت المقاعد.. وحيث أكد المحققون بأن جميع القراصنة كانوا يمتلكون نفس النموذج «الموديل» من المشارط.. ثم كشفت رسالة الاستخبارات المركزية الامريكية «سي. آي. إيه» فيما بعد بأنه قد تم العثور في منزل كان اسامة بن لادن قد اقام به في

افغانستان على كيس يحتوي على نفس النموذج من المشارط. مع ذلك من الصعب تصور ان اولئك الذين كانوا وراء تنظيم الاعتداءات قد اهملوا تزويد رجالهم بأسلحة نارية، ومما قد ينطوي على مخاطرة فشل عمليتهم جزئياً او كلياً: وهذا أمر يثير الدهشة لاسيما وانه من السهل اكثر اجتياز الرقابة في المطارات عند حمل مسدسات مما هو عند حمل مشارط. (ذلك إن المسدسات المصنوعة من مواد تركيبية لا تكتشفها اجهزة الرقابة في المطارات).

لماذا تطرح مثل هذه الاسئلة؟ انه من المعروف بأن المخيلة الجماعية تصور العرب بأنهم يحبون ذبح ضحاياهم. ووجود المشارط يسمح باستنتاج بأن القراصنة الجويين كانوا من العرب، وهذا لايزال بحاجة الى برهان.

وقبل ان تصل الطائرات الى نيويورك كان يتوجب عليها ان تطير على انخفاض كبير بحيث يستطيع القراصنة ان يروا الابراج مواجهة وليس من اعلى. اذ ان رؤية اية مدينة من اعلى تجعلها شبيهة بمخطط هندسي بشكل تختفي فيه جميع نقاط العلام البصرية، وبالتالي كان الهجوم على الابراج يتطلب بالضرورة اخذ موقع مسبق استعداداً للهجوم، وعلى انخفاض كبير جداً.

ولم تكن مسألة الارتفاع هي المطروحة وانما ايضاً الوضع الجانبي للطائرات ان عرض كل من البرجين هو ثلاثة وستين متراً و ٧٠ سنتيمتراً. وعرض الطائرات هو ٤٧٦٠ متراً، طائرة البوينج ٧٦٧ ، ويمكن ان تلاحظ على الفيديو بأن الطائرتين قد تحطمتا بدقة مركز هدفيهما وكان يكفي ان تنزاح الطائرة ٥٥٦٤ متراً كي تخطئ هدفها، وبسرعة وسطية ٧٠٠ كيلومتر/ساعة يتم قطع هذه المسافة بثلاثة اعشار الثانية. ونظراً لقلة مرونة هذه الطائرات، فإن السيطرة عليها بهذه الدقة يمثل امتحاناً صعباً بالنسبة للطيارين المتمرسين، فما بالك بطيارين متدربين.

لقد وصلت الطائرة الاولى بمواجهة البرج تماماً، وباتجاه الريح، مما سهل ثبات مسارها. لكنه كان على الطائرة الثانية القيام بمناورة دوران معقدة، وخاصة في اتجاه معاكس لاتجاه الريح. لكنها صدمت ــ هي ايضاً ــ البرج بالارتفاع المحدد وبالوسط.

ان الطيارين الذين جرت مقابلتهم اكد القليل منهم قدرتهم على القيام بمثل هذه العملية واستبعدوا بشكل قطعي امكانية ان يقوم بها طيار متدرب (هاوٍ). مع ذلك توجد هناك وسيلة لا يمكن ان تخطئ من اجل اصابة الهدف. وتكمن هذه الوسيلة في استخدام مصدر «منارة» ارشاد اي باصدار اشارة انطلاقاً من هدف يجذب الطائرة التي يتم ارشادها بطريقة آلية «اوتوماتيكية». ثم إن وجود مصدر ارشاد في مركز التجارة الدولي قد جرى تأكيده من قبل اذاعات هواة سجلت اشاراته. وكان قد تم الكشف عنه لانه تداخل مع بث التلفزيونات التي كان لها هوائيات على البرجين، وربما انه من المحتمل قد جرى تفعيل ذلك المصدر في اللحظة الاخيرة من اجل عدم الكشف عنه وتدميره. ومن الممكن ان يكون

القراصنة قد استخدموا مصدري ارشاد، اذ كان من الصعب ان يؤدي مصدر واحد الى ضبط مساري الطائرتين، بكل الحالات، كان ينبغي ان يكون هناك متواطئون على الارض، واذا كان هؤلاء المتواطئون موجودين بالفعل فلا حاجة لوجود عدة قراصنة على متن الطائرة اذ يكفي وجود فريق صغير من اجل توجيه الطائرة بواسطة الطيران الاوتوماتيكي. بل ولم يكن هناك ضرورة لوجود قراصنة اصلاً على الطائرة، اذ ان مجرد التوصل الى قرصنة حواسيب قيادة الطائرة قبل الاقلاع يسمح بالسيطرة على الطائرة في الجو بفضل تكنولوجيات منظومة «جلوبال هاواك» التي كانت وزارة الدفاع الامريكية قد اخترعتها. ان طائرة البوينج عندها تغدو بمثابة طائرة دون طيار.

لقد انهارت ابراج مركز التجارة العالمية. وتم اسناد التحقيقات للشركة الامريكية للهندسة المدنية وقد دل التقرير الأولي على ان الوقود الذي كان موجوداً في خزانات الطائرات اطلق باحتراقه حرارة هائلة ادت الى هشاشة البنية المركزية المعدنية للبرجين.

ان جمعيات اطفاء نيويورك رفضت هذه الاطروحة بقوة وكذلك رفضتها المجلة المهنية «فاير انجنريك». وتم التأكيد بأن تلك البنى المعدنية كان يمكنها ان تقاوم النيران لفترة طويلة. وقد اكد رجال الاطفاء بأنهم قد سمعوا انفجارات في قاعدة البناء وطالبوا بفتح تحقيق مستقبلي وتساءلوا عن المتفجرات التي كان قد تم تخزينها في الابنية، وفي حال عدم توفر الاجابة، عن تفجيرات اجرامية قام بها فريق على الارض. وكان خبير شهير من معهد التكنولوجيا هو «كان روميرو» قد اكد بأنه ما كان للانهيار ان يحدث سوى بواسطة المتفجرات، ولكنه تراجع امام الضغوط العامة.

وبكل الحالات لا يمكن لارتطام الطائرتين ان يفسر سقوط البناء الثالث، اي البرج ٧، هذا وكانت الشركة الامريكية للهندسة المدنية قد استبعدت فرضية اهتزاز اساسه. ولم يعد السؤال هو: «هل جرى تفجيره؟» وانما «ما هي الفرضية الاخرى التي يمكن تقديمها؟».

وهنا يأتي السبق الصحفي سكوب الذي جاءت به صحيفة «نيويورك تايمز» وهو ان مركز التجارة العالمي الذي كان يسود الظن بأنه هدف مدني، انما كان يخبئ هدفاً عسكرياً سرياً. وبالتالي ربما ان آلاف الضحايا قد سقطوا لانهم كانوا بمثابة درع بشري دون ان يكونوا يدركون ذلك. فالبرج رقم ٧، وربما أبنية اخرى ايضاً، كان بمثابة قناع لقاعدة تابعة لجهاز الاستخبارات الامريكية «سي. آي. ايه». ولقد كانت هذه القاعدة في سنوات الخمسينيات مجرد مكتب بسيط للتجسس على البعثات الاجنبية في هيئة الامم المتحدة. وقد طورت هذه القاعدة في ظل رئاسة بيل كلينتون من نشاطاتها لتهتم بالتجسس الاقتصادي في مانهاتن. وكانت اجهزة الاستخبارات الامريكية قد نقلت اهتمامها من التجسس المناهض للسوفييت الى الحرب الاقتصادية. واصبحت قاعدة الـــ «سي. آي. إيه» في نيويورك المركز الاكثر اهمية في العالم للتجسس الاقتصادي. وقد كانت اعادة توجيه النشاطات هذه

موضع احتجاج كبير من قبل الموظفين التقليديين في جهاز الاستخبارات وكذلك من قبل قيادة اركان الجيوش.

وفي لحظة اصطدام الطائرة الاولى ببرج مركز التجارة العالمي كان هناك ما بين ثلاثين ألفاً واربعين الفاً في البرجين، فكل برج كان يتألف من ١١٠ طوابق يضم كل منها ١٣٦ موظفاً وعاملاً كحد ادنى. لقد صدمت الطائرة الاولى احد البرجين من بين الطابق ٨٠ والطابق ٨٥ والمتواجدون في هذه الطوابق لقوا حتفهم فوراً بفعل الصدمة او بسبب الحريق الذي تلاها. واولئك الذين كانوا موجودين في الطوابق الاعلى كانوا محاصرين، فالحريق كان يمتد نحو الأعلى. وفضّل البعض ان يلقوا أنفسهم في الفضاء بدلا من الموت حرقا بألسنة اللهب. وفي النهاية انهار البناء وهلك جميع اولئك الذين كانوا في الطوابق الثلاثين العليا وبحيث تم توقع عددهم الاجمالي بحوالي ٤٠٨٠ شخصاً على الأقل.

وتدل الاحصائيات الرسمية التي تم تقديمها بتاريخ ٩ فبراير ٢٠٠٢ على ان اجمالي عدد الضحايا في البرجين هو «٢١٣٤» شخصا «هذا الرقم يضم ضحايا الطائرتين من مسافرين وطواقم ورجال الشرطة والاطفاء الذين لقوا حتفهم عند الانهيار». ان هذا الرقم هو اقل بكثير من التقديرات الاولية لما يسمح بالاعتقاد بأنه، وعلى الرغم من المظاهر، لم يكن هدف الاعتداءات هو قتل اكبر عدد ممكن من الناس. بل على العكس توجب ان يكون هناك تدخل مسبق كي يكون اشخاص عديدون على الاقل من العاملين في الطوابق العليا، غائبين عن مكاتبهم لحظة التفجير.

هكذا كشفت صحيفة «هآرتس» الاسرائيلية بتاريخ ٢٦ سبتمبر ٢٠٠١، بأن شركة «اوديجو» وهذه شركة رائدة في ميدان الرسائل الالكترونية، قد تلقت اتصالات هاتفية من مجهولين تحذر من وقوع اعتداءات نيويورك، وذلك قبل ساعتين من حدوثها، وكان مدير الشركة «ميشال كولر» قد اكد المعلومات للصحيفة وقد تم توجيه تحذيرات متنوعة للعاملين في البرج الشمالي، هذا وان لم يتلق الجميع بنفس الجدية.

وهنا نجد مخططا يمكن مقارنته بالمخطط الذي عرفته اعتداءات شهر ابريل ١٩٩٥ ضد «اوكلاهوما سيتي» ففي ذلك اليوم، تغيب قسم كبير من العاملين في العمارة الفيدرالية لنصف نهار بحيث ان الاعتداءات لم تؤد سوى لسقوط ١٦٨ ضحية من جراء انفجار الشاحنة المفخخة. ومن المعروف اليوم بأن ذلك الاعتداء كان قد تم تنفيذه من قبل عسكريين ينتمون الى منظمات يمينية متطرفة مخترقة هي ايضا من قبل مكتب التحقيق الفيدرالي الامريكي.

في «اوكلاهوما سيتي» افسح مكتب التحقيقات الفيدرالية اذن المجال لارتكاب اعتداء كان على علم به لكنه حد من الخسائر.

ولنستمع الآن الى الاعتراف الغريب للرئيس جورج دبليو بوش اثناء لقاء في دورلاندو بتاريخ ٤ ديسمبر ٢٠٠١ جاء فيه: سؤال: الامر الاول الذي اريد قوله سيادة الرئيس هو انكم لن يكون لديكم ابدا فكرة عما فعلتموه ببلادنا. الامر الاخر ماذا كانت مشاعركم عندما تم ابلاغكم بالهجوم الارهابي؟
ــ الرئيس جورج دبليو بوش: «شكرا. جوردان. وانك لن تصدقني اذا قلت لك عن الحالة التي وضعني بها هذا الهجوم الارهابي. كنت في فلوريدا برفقة سكرتيري العام اندي كارد. في الواقع كنت في احد الصفوف للحديث عن برنامج فعال جدا لتعليم القراءة. كنت جالسا خارج الصف بانتظار لحظة الدخول ورأيت طائرة تصدم البرج ــ كان التلفزيون يبث برامجه بالطبع. وبما انني كنت أنا نفسي طياراً قلت لنفسي بان هذا فعل طيار مرعب.. وبأن الامر يتعلق بحادث رهيب. ولكن تم دخولي لحظتها الى غرفة الدرس ولم يكن لدي بعد الوقت للتفكير بما جرى. كنت جالسا في الصف عندما دخل سكرتيري العام، الذي تراه جالسا هناك، وقال لي: «هناك طائرة اخرى صدمت البرج. ان امريكا تتعرض للهجوم».

في الواقع. لم اعرف بماذا افكر في البداية. لقد زعرت في فترة لم تخطر لي فيها فكرة امكانية تعرض امريكا للهجوم ربما ان ابيك او امك كانا يفكران آنذاك مثلي. وخلال ذلك الوقت المتقطع القصير بدأت بالتفكير بما يعنيه الهجوم على أمريكا. وكنت اعرف انه عندما سيكون لدي جميع الوقائع بأنه قد تم الهجوم علينا، فإن الجحيم هو ثمن الهجوم على أمريكا».

هكذا اذن وحسب التصريحات الخاصة لرئيس الولايات المتحدة، فانه قد شاهد صور الاصطدام الذي قامت به الطائرة الاولى للبرج قبل ان يحدث الثاني. وهذه الصور لا يمكن ان تكون التي التقطها صدفة جول وجوليان ناوديث: في الواقع كان هذان الاخان قد ظلا يقومان بالتصوير في مركز التجارة العالمي طيلة النهار ولم يتم بث الصور التي التقطاها الا بعد ثلاث عشرة ساعة من قبل وكالة «جاما» كان الامر يتعلق اذن بصور سرية كان قد تم نقلها مباشرة الى قاعة الاتصالات التي كانت قد اقيمت في المدرسة الابتدائية تحسبا لزيارته.

لكن اذا كانت مصالح الاستخبارات الامريكية قد استطاعت تصوير الاعتداء الاول فهذا يعني بأنه كان قد تم ابلاغها به مسبقا. وفي هذه الحالة لماذا لم تفعل شيئا من اجل انقاذ ارواح مواطنيها؟

كتاب ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التزييف المخيف، الحلقة الثالثة

فلنستعرض من جديد الرواية الرسمية لذلك اليوم الرهيب. ان روبرت مويللر مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي ــ وبغية الرد على الاعتداءين اللذين عرفتهما نيويورك ــ قام بتنشيط خطة «كونبلان»، اذ جرى ابلاغ جميع الوكالات الحكومية بالكارثة، وطلب منها ان تظل متأهبة للاستجابة لتعليمات مركز العمليات والاعلام الاستراتيجي، التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي، ولمجموعة الرد على الاوضاع

الكارثية وللوكالة الفيدرالية لادارة الازمات، ثم ان الامكنة الرئيسية لتجمع الجماهير والتي يمكن ان تكون مسرحاً لعمليات ارهابية قد جرى اخلاؤها واغلاقها.

فجأة، وعند الساعة العاشرة، اعطى الجهاز السرّي (أي المصلحة المكلفة بحماية الشخصيات الكبرى) معلومات تنذر بنموذج جديد من التهديدات وهو ان البيت الابيض والطائرة الرئاسية مهددان ايضاً، وتم نقل نائب الرئيس الامريكي ديك تشيني الى غرفة القيادة الموجودة تحت الجناح الغربي للبيت الابيض، وتم في الوقت نفسه تفعيل خطة استمرار الحكومة. كما تم وضع القادة السياسيين الرئيسيين في الولايات المتحدة، وأعضاء الحكومة والكونجرس في اماكن آمنة، حيث قامت طائرات هليوكبتر تابعة للمارينز بنقلهم الى ملجأين كبيرين مضادين للاسلحة النووية كانا قد شيدا خلال الحرب الباردة.

اما الرئيس جورج دبليو بوش الذي كان بطريقه الى واشنطن غير خط سيره، اذ توجهت الطائرة الرئاسية التابعة لسلاح الجو التي كانت تقله نحو قاعدة باركسدال، في لويزيانا ثم الى قاعدة دونوت في نبراسكا التي تضم مقر القيادة الاستراتيجية الامريكية أي حيث يوجد سلاح الردع النووي. وكانت الطائرة الرئاسية قد انتقلت بين القاعدتين على ارتفاع منخفض، وسلكت مسارا متعرجاً، كما استقل الرئيس عند وصوله عربة مدرعة للوصول الى مقر القيادة.

بقيت اجراءات الأمن المفروضة حول كبار الشخصيات سارية المفعول حتى الساعة ١٨ حيث استقل الرئيس جورج بوش الطائرة للعودة الى واشنطن.

روايات يصعب ابتلاعها

لقد وصف نائب الرئيس ديك تشيني اثناء البرنامج الذي يقدمه الصحفي تيم روسيرت في «ان.بي.سي» يوم ١٦ سبتمبر الانذار الذي اصدره الجهاز السري وطبيعة التهديد القائمة مؤكداً، حسب شهادته نفسها، بأنه كان قد تم ابلاغه من قبل ضباط أمنه بأنه في خطر وبأنه قد تم اقتياده عنوة الى الملجأ في البيت الابيض.

وفي الوقت الذي كان يتم فيه «تخبئة» جميع اعضاء الحكومة والكونجرس، تم اخطار الجهاز السري بأن هناك تهديداً آخر ضد قيادة سلاح الجو، وان طائرة جديدة قد جرى خطفها، وهي تهدد بالارتطام بالطائرة الرئاسية.

ومرّة أخرى لا تصمد الرواية الرسمية أمام التحليل، ذلك ان شهادة نائب الرئيس ترمي الى تحديد هوية التهديد بوجود طائرات انتحارية تتجه نحو البيت الابيض وباتجاه الطائرة الرئاسية. انه يستأنف تكرار الكذبة الخاصة بالرحلة ٧٧ والقائلة بتحطم طائرة على البنتاجون، بل ويضيف تخيلاته عن طائرة انتحارية تحلق فوق واشنطن بحثاً عن هدف. مع ذلك من الصعب قبول ان «الجهاز السري»

الامريكي قد فكر بقيادة نائب الرئيس الى احد الملاجيء بدلا من تفعيل الدفاع المضاد للطيران. ومن المسلي أكثر، اختراع ديك تشيني لطائرة نقل مدني جديدة وهي تبحث كأحد فرسان رعاة البقر «الوسترن» عن الطائرة الرئاسية وهي في الجو، وذلك تحت نظر القوة الجوية الامريكية الجبارة.

ان هذه الرواية، على الرغم مما فيها من اشياء لا تبدو واقعية، لا تكفي لشرح السلوك الذي تم تبنيه، واذا كان التهديد يقتصر على طائرات انتحارية، فلماذا تتم حماية الرئيس من احتمالات الهجوم عليه حتى وهو في قاعدة استراتيجية؟ وكيف يمكن تصديق ان «الارهابيين» استطاعوا ان يأخذوا مواقعهم في أمكنة محمية الى هذا الحد؟لقد كانت شهادة ديك تشيني ترمي بشكل خاص الى الدفع باتجاه نسيان تصريحات الناطق الرسمي باسم البيت الابيض آري فليشر، وما كان قد أسر به كبير موظفي البيت الأبيض، كارل روف ان المعلومات التي قدماها تؤدي الى التساؤل عن احتمالات وجود تورط داخلي حيث لا تريد الدعاية الحربية ألا ترى الا اعداء خارجين.

ان الصحافة الصادرة يومي ١٢ و١٣ سبتمبر أكدت، وبالاعتماد على تصريحات الناطق باسم الرئيس آري فليشر ان الجهاز السري كان قد تلقى رسالة من المهاجمين اشاروا فيها الى انهم يريدون تدمير البيت الابيض والطائرة الرئاسية. ومما يثير الدهشة اكثر ما نشرته صحيفة «النيويورك تايمز» من أن المهاجمين كانوا قد أكدوا مصداقية ندائهم عبر استخدام الرموز التي تستخدمها الرئاسة في التعرف على الرسائل الموجهة لها وكذلك قنوات نقل المعلومات التي تستخدمها، أي الرئاسة. وما يثير الدهشة اكثر هو ما جاء في «وورلد نيت دايلي» (بتاريخ ٢٠ سبتمبر ٢٠٠١) نقلاً عن رسميين في الاستخبارات من قولهم بأن المهاجمين كانوا يمتلكون ايضاً منظومة الرموز التي تستخدمها مصالح أخرى مثل «مكتب الاستطلاع القومي» و«استخبارات القوى الجوية. والبرية والبحرية ومصالح استخبارات» وزارة الخارجية ووزارة الطاقة الامريكية. والجدير بالذكر ان كلاً من هذه المنظومات المركزة لم يكن يعرفها سوى عدد محدود جداً من الاشخاص. كما ان افتراض امتلاك المهاجمين لها يعني انه توجد وسيلة لاختراقها، أو أن هناك جواسيس قد تسللوا الى كل مصلحة من هذه المصالح الاستخبارية. ويبدو انه من الممكن تقنياً الوصول الى اعادة تركيب المنظومات المرمّزة للمصالح الامريكية بواسطة الحاسوب. اما «اللوغاريتمات» التي تم استخدامها في ذلك فقد يكون روبرت هانسن، العميل الخاص لدى مكتب التحقيقات الامريكية، والذي كان قد تم اعتقاله بتهمة التجسس في شهر فبراير من عام ٢٠٠١ قد سربها، اما جيمس ووليس المدير السابق لجهاز الاستخبارات الامريكي الـــ «سي.آي.إيه» فيعتقد انه قد تم الحصول على المنظومات المرمزة بواسطة جواسيس.

أسرار كلمة بوش بكل الأحوال فان مسألة الرموز تكشف عن وجود خائن أو عدة خونة على أعلى مستويات الدولة في امريكا. وهؤلاء وحدهم يمكنهم ان يسهلوا وجود اولئك الذين قد يمكنهم قتل

الرئيس حتى داخل القواعد الاستراتيجية للقوات الجوية الامريكية، حيث اضطر الرئيس الامريكي الى ان يستقل سيارة مدرعة داخل هذه القواعد.

لكن اذا كان المهاجمون قد فعلوا ذلك فإن هذا يعني ان لهم هدفاً محدداً. وأن نداءهم كان يتضمن مطلباً ما او انذاراً اخيراً.. وبالتالي، إذا كان قد قبل ان التهديد قد انتهى في نهاية ذلك النهار فهذا يسمح باستنتاج أن الرئيس بوش قد فاوض ورضخ للمساومة. لكن ما هو أخطر من ذلك ان حصول المهاجمين على المنظومات المرمّزة الخاصة بالبيت الابيض وبالقوات الجوية هذا يعني قدرتهم على انتحال صفة رئيس الولايات المتحدة ما يعني ايضا امكانية اصدار الاوامر والتعليمات للجيوش بما في ذلك استخدام السلاح النووي. من هنا كانت الوسيلة الوحيدة كي يحافظ جورج بوش على جيوشه هي ان يوجد هو شخصياً في مقر القيادة الاستراتيجية الامريكية كي يعطي اي امر او أمر مضاد. ولنعد الان قراءة نص الكلمة التي سجلها الرئيس جورج بوش في قاعدة «باركسدال» وتم بثها فيما بعد عند الساعة ١٢,٠٤ من قبل البنتاجون وجاء فيها: «أطمئن الشعب الامريكي إلى أن جميع اجهزة الحكومة الاتحادية تعمل على مساعدة السلطات المحلية من اجل انقاذ حياة الكثيرين ومساعدة ضحايا هذه الهجمات.

وينبغي ألا ينخدع أحد، فالولايات المتحدة سوف تلاحق وتعاقب مرتكبي هذه الاعمال الجبانة. وانني على اتصال دائم مع نائب الرئيس ومع وزير الدفاع ومع فريق الامن القومي ومع المستشارين حولي ولقد اتخذنا جميع الاحتياطات الامنية المناسبة من اجل حماية الشعب الامريكي. وقواتنا المسلحة في الولايات المتحدة وحول العالم هي في حالة التأهب القصوى، كما اتخذنا جميع الاحتياطات المطلوبة من اجل تأمين استمرارية عمل الدولة. ولقد اتصلنا بالقيادات السياسية لمختلف التيارات في الكونجرس وبالقادة العالميين كي نؤكد لهم بأننا سوف نفعل كل شيء وكل ما هو ضروري من اجل حماية امريكا والامريكيين.

ان تصميم امتنا العظيمة يواجه اليوم الامتحان ولكن عليكم ألا تنخدعوا فإننا سوف نجعل العالم يرى اننا سننجح في التغلب على هذه المحنة. وليباركـكم الله».ما يثير الدهشة في هذه الكلمة هو ان الرئيس جورج بوش قد حرص، بشكل واضح على تجنب قول اي كلمة عن «ارهاب» او «ارهابيين» بل وأفسح المجال بأن يستشف المرء ان المسألة تتعلق بنزاع مسلح «كلاسيكي» أو أي شيء آخر ثم ان الحديث عن «مواجهة الامتحان» وانه سيتم التغلب والانتصار بدا وكأنه يريد ان يعلن عن كوارث جديدة. والمدهش اكثر انه لم يتفوه بكلمة واحدة عن اسباب غيابه عن واشنطن بما اعطى الانطباع بأنه قد هرب من خطر لا يزال يهدد أبناء وطنه.

العملية «بنتبومب»

بدأ مكتب التحقيقات اعتبارا من ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بأوسع عملية تحقيق عرفتها الانسانية المعروفة باسم «بنتبومب» هذه الكلمة تجمع بين البنتاجون والابراج والقنابل» وعبأ لذلك التحقيق سبعة آلاف موظف من بينهم اربعة الاف من عملائه. هذا بالاضافة الى مساهمة وكالات اخرى تابعة لوزارة العدل. كما اعتمد بشكل خاص على مجموعة مصادر المعلومات خاصة من الـــ «سي.اي.إيه» ووكالة الامن القومي ووكالة استخبارات الدفاع، كما تعاون مكتب التحقيقات الفيدرالي من جهاز «الانتربول» الدولي او مع اجهزة استخبارات البلدان الحليفة مباشرة.

وقد قدم مكتب التحقيقات الامريكي محمد عطا على انه الرأس المدبر للعملية. وكان قد أقام في اسبانيا وسويسرا والمانيا ثم وصل الى امريكا حيث بدأ تلقي دورات تدريبية لقيادة الطائرات في ميامي. وقد حرص ــ كما تم تقديمه ــ على انه يخفي تزمته الى درجة انه كان ربما قد تردد على ملهى «اولمبك جاردن» في لاس فيجاس، لكنه كان يشتري شرائط «فيديو» حول التدريب على قيادة طائرات البوينج كانوا وجدوها في حوزته مع كتب اسلامية ورسالة قديمة اظهر فيها نيته الاستشهاد. لكن هل يمكن تصديق هذه المعلومات واخذها على محمل الجد، ويتساءل المؤلف تيري ميسان، كيف يمكن لمحمد عطا أن يحرص خلال عشر سنوات على اخفاء هويته الحقيقية «المتزمتة» عن اجهزة الشرطة ثم يترك فجأة وراءه هذا القدر من الأدلة ضده؟! وما يثير السخرية أكثر تأكيد مكتب التحقيقات الفيدرالي انه وجد جواز سفر محمد عطا سليما تماماً في انقاض مركز التجارة العالمي! انها معجزة حقيقية.

من الواضح ان مكتب التحقيقات الفيدرالي يقوم بـــ «فبركة» براهين. وربما انه ينبغي الا نرى في هذا سوى رد فعل جنوني لجهاز شرطة كان قد اظهر عدم فعاليته في منع حدوث الكارثة والذي يحاول بشتى الوسائل تحسين صورته.

هوية المهاجمين ما يثير القلق اكثر من هذا بروز اشكالية حول هوية الانتحاريين. فالقائمة التي اعلنها مكتب التحقيقات الفيدرالي والتي احتوت على ١٩ اسما كانوا جميعهم من العرب المسلمين وكانوا قد نالوا حظا من التعليم واغلبهم من السعوديين، باختصار بدا انهم قد تحركوا على قاعدة القناعة ومن اجل خدمة اهداف آمنوا بها، وليس على قاعدة اليأس. لكن تلك القائمة كانت موضع نقاش اذ اعلنت سفارة السعودية في واشنطن ان العديد من الاسماء المدرجة بها يوجد اصحابها في البلاد أو في بلدان اخرى، بل ان وليد الشهري الذي يعيش في الدار البيضاء قد اجرت صحيفة «القدس العربي» الصادرة في لندن مقابلة معه، وصرح الامير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي للصحافة قوله: «لقد ثبت بأن خمسة من الذين احتوتهم قائمة مكتب التحقيقات الفيدرالي لا علاقة لهم بما جرى»، وصرح الامير نايف وزير الداخلية لوفد امريكي رسمي بقوله: «حتى الآن، لا يوجد اي برهان على

ان لهم ــ اي الــ ١٥ سعودياً ــ علاقة بــ ١١ سبتمبر. اننا لم نتلق حتى الآن اي شيء من الولايات المتحدة».

فمن اين جيء بهوية الارهابيين؟ اذا كانت المرجعية هي قوائم الضحايا التي نشرتها شركات الطيران، فان من المدهش ان اسماء قراصنة الجو ليست من بينها. وكأنه قد جرى سحبهم من القائمة كي لا يبقى فيها سوى «الابرياء فقط» وطواقم الطائرات. كما ان قوائم المسافرين كما تم الاعلان عنها هي غير كاملة او لم يتم التعرف على هوية عدد منهم واذا كانت المرجعية هي البيانات الصادرة عن الشركات الجوية ليوم ١١ سبتمبر فاننا نلاحظ بأن الرحلة «١١» نقلت ٨١ مسافرا والرحلة «١٧٥» نقلت ٥٦ مسافرا والرحلة «٧٧» نقلت ٥٨ والرحلة «٩٣» نقلت ٣٨ مسافرا. وبالتالي كان من غير الممكن فعليا ــ ماديا ــ ان يكون على متن طائرة الرحلة «١١» اكثر من ثلاثة ارهابيين وعلى متن طائرة «٩٣» اكثر من ارهابيين اثنين. وهذا يعني ان عدم وجود اسماء قراصنة الجو على قوائم المسافرين لا يعود الى حصر «الابرياء فقط» وانما لانهم بكل بساطة لم يكونوا بينهم.بكل الاحوال، يرى مؤلف هذا الكتاب، ان جميع الفرضيات تبقى مفتوحة. وكما في جميع القضايا الاجرامية، السؤال الاول المطروح هو «من يستفيد من الجريمة؟».غداة يوم الاعتداء لوحظ ان مناورات قد جرت خلال الايام الستة السابقة. اذ انخفض سعر سهم شركة «يونايتد اير لاين» المالكة للطائرتين اللتين صدمت احداهما البرج الجنوبي لمركز التجارة الدولي والتي سقطت في بنسلفانيا بنسبة ٤٢% وبشكل مصطنع. وكذلك انخفضت اسهم شركات «امريكان اير لاين» المالكة للطائرتين اللتين تحطمتا على البرج الشمالي لمركز التجارة الدولي «وافتراضا» على البنتاجون بنسبة ٣٩%. بنفس الوقت لم تشهد اية شركة جوية اخرى في العالم حركة مماثلة، سوى شركة «كي. ال. ام» بحيث يمكن استنتاج انه ربما كان قد جرى اختيار احدى طائرات هذه الشركة لعملية خطف خاصة.وبدت حركة مماثلة حول سندات شركة «مورجان ستانلي دين وانر» حيث زاد بيعها بنسبة ١٢ ضعفا خلال الاسبوع الذي سبق الاعتداءات. وهذه الشركة تحتل ٢١ طابقا في مركز التجارة العالمي. ونفس الامر بالنسبة لشركة «ميريل لينش» التي يوجد مقرها في بناية قريبة من البرج ومهددة بالانهيار.. وايضا اسهم شركات التأمين المتورطة اي «مونيخ ري» و«سويس» و«اكسا» واذا كانت الحسابات المصرفية المجمدة منذ عام ١٩٩٨ لا تسمح بتوفر الاموال المطلوبة لشراء الاسهم والسندات المعنية فقد ظهر بأن القسم الأكبر من العمليات «فاز به» «البنك الالماني دوتش بانك» وفرعه الامريكي للاستثمار «اليكس براون».هذه الشركة كان يديرها حتى عام ١٩٩٨ «ا.ب.كرونجارد» كابتن «المارينز» الذي اصبح مستشارا لدى مدير الــ «سي.اي.إيه» والشخصية الثالثة في وكالة الاستخبارات الامريكية. والملفت للانتباه هو ان مكتب التحقيقات الفيدرالي لم ينقب طويلا بل تخلى عن التنقيب، في هذا الاتجاه. وفي المحصلة دعم اطروحة الهجوم الخارجي وحاول اعطاءها المصداقية عبر تقديم قوائم سريعة لقراصنة الجو وفبركة وثائق لجعلها مقنعة «جواز سفر محمد عطا، والتعليمات التي وجدوها لدى الانتحاريين ... الخ». ويرى مؤلف هذا الكتاب بأن

مهندسي هذه العملية كان «روبير مويللر» الذي كان الرئيس جورج دبليو بوش قد عينه مديرا لمكتب التحقيقات الفيدرالي قبل اسبوع فقط من اعتداءات ١١ سبتمبر. ويبقى السؤال: «هل كان التحقيق هذا يبحث عن محاكمة عادلة او انه اجري من اجل طمس المسئوليات الامريكية ــ الامريكية وتبرير عمليات عسكرية مستقبلا؟»

كتاب، ١١ سبتمبر ٢٠٠١، التزييف المخيف، الحلقة الرابعة

عشية الحادي عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١، توجه الرئيس الامريكي جورج بوش الى الامريكيين عبر التلفزيون، وقال: «لقد تم استهداف امريكا لانها المنارة الاكثر اشعاعاً للحرية والتقدم في العالم، ولن يستطيع احد ان يمنع هذا الاشعاع. ان بلادنا قد عرفت اليوم الشر الذي يشكل اسوأ ما في الطبيعة البشرية.. ولقد جاء ردنا بأفضل ما لدى امريكا عبر شجاعة فرق الانقاذ واظهار روح التعاون مع الاخر وتبرع الجيران بدمهم وتقديم المساعدات بشتى السبل.

واننا الان بصدد البحث للوصول الى اولئك الذين هم وراء هذه الاعمال البشعة. ولقد اعطيت الاوامر من اجل توظيف كل طاقاتنا في ميدان الاستخبارات والشرطة من اجل القبض على المسئولين وتقديمهم للعدالة. واننا لن نفرق بين اولئك الارهابيين الذين قاموا بهذه الاعمال واولئك الذين يحمونهم. ان امريكا واجهت اعداء في الماضي وسوف نواجههم نحن ايضاً. ولن ينسى احد منا ابداً هذا اليوم. ومع ذلك سوف نتابع دفاعنا عن الحرية وعن الخير والعدل في العالم. شكراً وطابت ليلتكم وليبارك الله امريكا».

خياران متناقضان على الرغم من هذه الرسالة التي تؤكد على وحدة البلاد، وحيث لم تكن قد صدرت سوى الفرضيات حول المسئولية، فقد كان هناك خياران سياسيان متناقضان يرتسمان داخل الادارة الامريكية. كان هناك المعتدلون حول وزير الخارجية كولن باول ورئيس الاركان جنرال هوج شلتون والذين كانوا يطلبون القيام برد يتناسب مع عمليات الاعتداء، مثل ذلك الذي انجزته الولايات المتحدة عام ١٩٩٨ عندما تم اطلاق صواريخ توماهوك من غواصات في الخليج على معسكرات للتدريب في افغانستان وعلى مصنع الشفاء في السودان، وذلك كرد على عمليات تفجير السفارتين الامريكيتين في دار السلام ونيروبي.

وكان هناك ايضاً تيار الصقور الذين اعتبروا مثل ذلك الرد المتناسب، غير مجد، ورأوا بأن المطلوب هذه المرة هو القيام بتدخل عسكري في افغانستان.. بل والذهاب الى ابعد بحيث يتم تدمير جميع مصادر التهديد الكامنة.

وكان هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي الاسبق الذي كان قد اشرف على جميع العمليات السرية الامريكية خلال فترة ١٩٦٩ ــ ١٩٧٦ بمثابة الملهم لهؤلاء الصقور. وما ان انتهى الرئيس جورج بوش من توجيه كلمة للامريكيين حتى نشر كيسنجر وجهة نظره على موقع الانترنت الخاص بصحيفة «واشنطن بوست»، حيث وضع النقاط على الحروف وقال: «ينبغي تكليف الحكومة بمهمة القيام بالرد المنهجي الذي يؤدي، كما هو مأمول، الى نتيجة مثل تلك التي تلت الهجوم على بيرل هاربور، اثناء الحرب العالمية الثانية ــ والتدمير الكامل للمنظومة المسئولة عن هذا الهجوم. وهذه المنظومة هي عبارة عن منظمات ارهابية موجودة في عواصم عدد من البلدان، وفي عدد كبير من الحالات لا نعاقب البلدان التي تحمى هذه المنظمات بل ونقيم علاقات شبه طبيعية مع بعض هذه البلدان الاخرى. ولا نعرف حتى الان ما اذا كان ابن لادن هو الذي يقف وراء هذه الاعمال على الرغم من انها من نمط العمليات التي حملت اسمه. لكن ينبغي ان تدفع كل حكومة تأوي مجموعات يمكن ان تقترف مثل هذه الهجومات ثمناً غالياً، حتى ولو لم تكن هذه المجموعات قد شاركت في الاعتداءات».

وفي يوم ١٢ سبتمبر توجه الرئيس جورج بوش للصحافة من جديد كي يؤكد ان ما تعرّضت له الولايات المتحدة «ليس اعمال ارهاب، وانما هي اعمال حربية». ولذلك طالب الشعب الامريكي بالاستعداد لمواجهة عدو لا يشبه ابداً اي عدو اخر من الماضي. وبعد ان توعّد هذا العدو بأنه لن يستطيع الاختباء باستمرار، واذا كان يعتقد بأنه في مأمن فانه لن يبقى كذلك ابدياً»، اكد بأن «الولايات المتحدة ستستخدم كل امكانياتها من اجل الانتصار على هذا العدو».

وقد ختم الرئيس جورج بوش حديثه بالقول: «انني اشكر اعضاء الكونجرس من اجل صوتهم الموحد ودعمهم. ان امريكا موحّدة، وامم العالم المتعطشة للحرية تقف الى جانبنا. ان نضال الخير ضد الشر سيكون هائلاً. لكن الخير سينتصر».

كانت حكومات العالم كله، باستثناء وزارة الخارجية البريطانية التي كانت تزاود في تصريحاتها القتالية، ترقب بقلق كبير ردود فعل الرئيس جورج بوش. وقد فهمت بسرعة ان اجهزة الاستخبارات الالمانية والمصرية والفرنسية والاسرائيلية كانت قد حذرت الاجهزة الامريكية بما كان يتم تحضيره، لكن الــ «سي. آي. إيه» قللت كثيراً من التهديدات. وفي الوقت نفسه كانت تتكاثر التساؤلات حول مدى مصداقية التقارير، التي غدت غزيرة فجأة، التي كانت وكالة الاستخبارات الامريكية المركزية تعدها، وبنفس التساؤلات ايضاً حول التقدم ــ البالغ في سرعته ــ في تحقيق مكتب التحقيقات الفيدرالي «الاف. بي. آي» كانت تسود لدى الجميع الخشية من ان يحدد الرئيس بوش المذنب بتسرع كبير وتدخل بلاده مباشرة في عمل عسكري كبير.. وهذا ممكن من اجل طمأنة الرأي العام الداخلي الامريكي.

في اليوم نفسه تبنى مجلس الامن التابع للامم المتحدة القرار رقم ١٣٦٨ الذي اعترف بـــ «الحق المشروع» للولايات المتحدة بالرد منفردة او جماعياً طبقاً لميثاق الامم المتحدة. ودعا القرار مختلف البلدان للعمل معاً من اجل تقديم الجناة للعدالة ــ المنفذين والمنظمين والرؤوس المدبرة ــ ومحاسبة كل من ساعد او دعم او آوى «الارهابيين». باختصار، اعترف مجلس الامن للولايات المتحدة ان تخرق اذا دعت الضرورة، سيادة الدول التي تحمي الارهاب. ومن اجل القبض على الارهابيين وتقديمهم للعدالة الدولية.

لكنه بالمقابل لم يسمح للولايات المتحدة بأن تنصب من نفسها كصاحبة الحق في القصاص او مهاجمة الدول وقلب الحكومات.

اخلاص لا طاعة في المساء قررت الدول الاعضاء في الحلف الاطلسي اثناء اجتماع مغلق تقديم المساعدة للولايات المتحدة ــ وليس انخراط قواتها ــ من اجل مواجهة الهجوم الذي تعرضت له.. وقد كان ذلك الاجتماع متوتراً جداً اذ ان بعض الاعضاء اعتقدوا بأنه قد يكون ممكناً وجود علاقة لاناس داخل جهاز الدولة الامريكية بالاعتداءات ولذلك رفضوا الالتزام بـــ «حرب ضد الارهاب»، لاسيما وانها حرب غير محددة الاهداف والمدى بشكل دقيق. وامام حالة القلق والمنحى الذي اخذته الاحداث اتصل الرئيس الفرنسي جاك شيراك بالرئيس الامريكي جورج بوش، وبعد ان اكد له ان فرنسا تبقى الحليف الاكثر اخلاصاً، وليس الاكثر طاعة، شرح له بأدب بأن قرار مجلس الحلف الاطلسي ليس «شيكاً على بياض» وانقياداً اعمى وراء السياسة الامريكية. وقد كرر الرئيس الفرنسي نفس الموقف في زيارة قام بها للولايات المتحدة ــ كانت مقررة منذ فترة طويلة وعقد بنفس الوقت مؤتمراً صحفياً بصحبة كوفي عنان الامين العام للامم المتحدة صرح فيه هذا الاخير بوضوح قوله: «ينبغي ان يكون الرد ــ الامريكي ــ ضد ارهابيين جرى التأكد من تورطهم وربما ضد الدول او المجموعات التي ساعدت هؤلاء الارهابيين».

وزادت الخشية، وبدت انها قد تأكدت، عبر ما جرى اثناء مؤتمر صحافي مشترك ساهم فيه وزير العدل «جون اشكروفت» ومدير مكتب التحقيقات الفيدرالي روبرت مويلر، لقد اكد رئيس الشرطة للصحافيين ضرورة عدم التعجيل بالتحقيق من اجل جمع البراهين الضرورية لادانة المشتبه بهم فقاطعه وزير العدل بفظاظة واعلن بأن الوقت يضغط وان مهمة مكتب التحقيقات الفيدرالي هي القاء القبض سريعاً على الارهابيين قبل ان يقترفوا اعتداءات اخرى.

في ١٧ سبتمبر ازدادت الاجواء توتراً بعد ان تم اخلاء البيت الأبيض جزئياً اثر انذار بوقوع عمل ارهابي وتم نقل نائب الرئيس ديك تشيني الى مكان بعيد وآمن. كان الانذار كاذباً أما القلق النفسي فحقيقي. بعد ظهر ذلك اليوم ــ التقى نائب وزير الدفاع «بول وولفوتيز» مع الصحافة.. وهو عملياً بمثابة الناطق باسم المجموعة الأكثر تشدداً من المحافظين داخل «اللوبى» العسكري الصناعي، وكان

قد ناضل منذ سنوات من اجل «انهاء العمل القذر في العراق» وقد رأى في احداث ١١ سبتمبر مبرراً سهلاً للخلاص من الرئيس صدام حسين. انه لم يحدد اثناء لقائه الصحفي اي هدف كافغانستان أو العراق. لكنه أشار إلى ان الرد الامريكي «سيكون حملة وليس عملاً معزولاً» وركز على القول: «إننا سنطارد هؤلاء ــ الارهابيين ــ واولئك الذين يدعمونهم حتى يتوقف ذلك. بهذه الطريقة ينبغي التحرك».

بالمقابل، وبدافع سحب البساط من تحت اقدام «الصقور» قام وزير الخارجية «كولن باول» بتقديم «ابن لادن» على أنه «المشتبه الرئيسي» وحضر على عجل تدخلاً ــ تمنى أن يكون محدوداً ــ في افغانستان. وطالب الباكستان بما يشبه الانذار لدعم امريكا ووضع كافة البنى الاساسية العسكرية تحت تصرّفها ووقف جميع العلاقات السياسية والاقتصادية مع النظام الذي كان قائماً في افغانستان.

لم يكن النقاش السائد في واشنطن جديداً. إذ كان النقاش حول تبني احد الخيارين (ضرب افغانستان او حرب شاملة ضد الارهاب) سائداً قبل الاعتداءات التي شهدها يوم ١١ سبتمبر. ما حدث كان مبرراً للانتقال الى الفعل.

ومنذئذ اصبح النقاش يتلخص في معرفة عمّا اذا كان الرأي العام الامريكي يرضيه مجرد القيام بضربات لاهداف محددة أم ان صدمته كانت قوية الى درجة تجعله يقبل القيام بحرب طويلة الأمد. في المحصلة رأى استراتيجيو واشنطن بأن الصدمة السيكولوجية كانت قوية الى حد تسمح بتنشيط الخيارين معاً.

وبعودة إلى الوراء يشير المؤلف تيري ميسان الى فشل المفاوضات متعددة الاطراف في برلين، في منتصف شهر يوليو ٢٠٠١، حول مستقبل افغانستان. يومها، وكما جاء على لسان «نياز نايك» سفير الباكستان السابق في باريس الذي كان قد ساهم في المفاوضات، بان الامريكيين قد صرحوا آنذاك – ساهم ثلاثة دبلوماسيين كبار امريكيين في المفاوضات بانهم سيجتاحون افغانستان في منتصف شهر اكتوبر وسوف يسقطون نظام طالبان.

وفي مطلع شهر سبتمبر وتحت غطاء المناورات السنوية في بحر عمان نشرت بريطانيا أكبر اسطول حربي لها منذ حرب الفولكلاند وجمعت قواتها بمواجهة الباكستان في عرض البحر. وقام الحلف الاطلسي من ناحيته، وبمناسبة مناورات «النجم الساطع» برايت ستار في مصر بنقل اربعين ألف جندي الى المنطقة. هكذا اذن كانت القوات الانجليزية، الامريكية قد أخذت مواقعها في المنطقة قبل اعتداءات ١١ سبتمبر.

اما «الحرب ضد الارهاب» فقد كانت قيادة اركان الجيوش الامريكية قد حضّرت لها منذ فترة طويلة أثناء اللجوء مرتين إلى ما أسمته بـــ «لعبة الحرب» حيث جرى الانخراط في «حروب وهمية» ووضع تكتيكات لها. لكن تم الغاء «لعبة الحرب» التي كانت مبرمجة مبدئياً لشهر يونيو ٢٠٠١، الامر الذي فسره الرسميون المعنيون بمثابة اشارة للانتقال الى الفعل قريباً.

الأب الروحي بعد ان يسهب مؤلف هذا الكتاب في سرد المرجعيات التي رددها الرئيس الامريكي جورج بوش في احاديثه المختلفة اعتماداً على قاعدة الايمان الديني اراد أن يجعل نفسه بمثابة الرئيس الروحي لامريكا وللعالم المتمدن.

وقد تحدث عن «التجديد الروحاني» وعن حاجة امريكا لهذا «التجديد الروحاني» وقد شارك برفقة زوجته واربعة رؤساء امريكيين سابقين هم بيل كلينتون وجورج بوش الاب وجيمي كارتر وجيرالد فورد وجميع اعضاء مجلس الشيوخ تقريباً في الصلاة بإحدى الكنائس من اجل ضحايا اعتداءات ١١ سبتمبر.

وهذا ما حللته صحيفة «واشنطن بوست» في ٢٤ ديسمبر ٢٠٠١ بالقول: «للمرّة الأولى منذ ان اصبحت النزعة المحافظة الدينية حركة سياسية قد اصبح رئيس الولايات المتحدة هو رئيسها واقعياً ـــ وهذا موقع لم يحتله حتى رونالدر ريجان الذي كان يحبه المحافظون الدينيون كثيراً. هذا وقد ساد مثل هذا التوجه في أوروبا ايضاً تضامناً مع الولايات المتحدة.

وفضلاً عما يشير إليه مؤلف هذا الكتاب من احتجاجات صدرت في امريكا واوروبا حول الوقوف «دقائق صمت» من أجل الضحايا الامريكيين بينما لا يحظى ضحايا المجازر في مناطق أخرى من العالم بأي سلوك مماثل. يؤكد ـــ أي المؤلف ـــ ان التعاطف مع «الحداد الامريكي» كان بمثابة «عملية سياسية تسعى لتحقيق هدف سياسي عبر استغلال المشاعر الدينية». اما الاعداد لمثل هذا العمل من اجل فرض حداد دولي فقد تم بصورة سرّية خلال شهر اكتوبر من عام ٢٠٠١ (كما نشرت صحيفة «انتلجانس اونلاين» بتاريخ ١٤ فبراير ٢٠٠٢)، وكان قد تم سابقاً تأسيس «مكتب للتأثير الاستراتيجي في البنتاجون ترأسه الجنرال «سيمون بين ووردت» الرئيس السابق لهيئة كانت تهتم بالاخبار الدولية وتستخدم ادوات من بينها اذاعة «صوت امريكا». لقد عمل «مكتب التأثير الاستراتيجي» بكامل طاقته من أجل التأثير على الرأي العام العالمي وعلى الحكومات الغربية.

وصبيحة يوم ١٤ سبتمبر خوّل الكونجرس الرئيس بوش باللجوء الى استخدام كل قوة ضرورية ومناسبة ضد كل دولة أو منظمة أو شخص كان ـــ كما ترى ـــ قد حضر او سمح او نفذ أو سهل بالهجومات الارهابية المقترفة يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١، أو انه آوى مثل تلك المنظمات واولئك الاشخاص، وذلك من أجل الوقاية ضد أي عمل ارهابي دولي ضد الولايات المتحدة من قبل مثل تلك

الدول أو المنظمات أو الاشخاص، وكانت قد تمت الموافقة على هذا القرار بإجماع ممثلي الشعب الامريكي في المجلسين باستثناء صوت واحد هو صوت النائبة الديمقراطية لكاليفورنيا بربارة لي، ومن دون نقاش تقريباً هكذا حصل الرئيس بوش على «كل السلطات الخاصة بحالة الطواريء» والتي لا تعني تماماً «سلطات الحرب» إذ كان عليه ان يبلغ الكونجرس قبل شن أية حرب ضد دولة أخرى. وعندما طلب الرئيس زيادة الاعتمادات المالية الخاصة للشروع بالاعمال العسكرية الأولى وافق النواب الامريكيون على مضاعفتها من ٢٠ ملياراً الى ٤٠ مليار دولار امريكي وبعد ٥ ساعات من النقاش. وبتاريخ ٢٠ سبتمبر وبحضور رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير، اعلن الرئيس بوش رسمياً أمام النواب الامريكيين ان «اسامة بن لادن ومنظمته مسئولون عن اعتداءات ١١ سبتمبر». كما اعلن بالوقت نفسه عن تأسيس «مكتب أمن التراب القومي» الذي يتمتع بمستوى وزاري ويخضع مباشرة لسلطته وحيث تحددت مهمته في «تنسيق استراتيجية قومية عامة وادارتها والاشراف عليها من أجل الدفاع عن البلاد ضد الارهاب والرد على اي هجوم محتمل». هذا وقد تم تعيين حاكم بنسلفانيا السابق «توم ريدج» رئيسا لهذا المكتب.

ومنذ تاريخ ١٢ سبتمبر صرّح وزير الدفاع الامريكي اثناء لقائه مع الصحافة بأنه ينبغي التعامل مع المعلومات بكثير من الحذر لان تقديمها في غير مكانها «يحدّ من حظوظ حاكم الولايات المتحدة» في رصد اولئك الذين قاموا بالعمليات وكذلك يمكن ان يكون مؤذياً من حيث انه «يعرّض للخطر حياة اولئك الذين سيقومون بالعمليات مستقبلا».

وعندما سأله احد الصحفيين بتاريخ ٢٥ سبتمبر، إذا كان لديه النية للكذب كي يحتفظ ببعض الاسرار اجاب «رامسفيلد» بأنه يمتلك شخصياً من المهارة ما يجعله يتصرف بشكل آخر ولمساعديه أن يتصرفوا ويدبروا امرهم كما يستطيعون. قال: «ان هذا يذكرنا بالطبع بالتعبير الشهير لونستون تشرشل الذي كان يصرّح ــ لكن لا تذكروا اسمي. لا أريد ذلك فإذن لا تذكروه ــ لقد قال بإن الحقيقة غالية في بعض الاحيان الى درجة انه ينبغي ان يرافقها حشد كبير من الاكاذيب ــ وقد كان تشرشل يتحدث آنذاك عن مكان انزال القوات أثناء الحرب العالمية الثانية ومكانه».

تغيير أعدّ له طويلاً

بتاريخ ٢٨ فبراير ٢٠٠٢، كتبت مجلة «نيويورك بوك ريفيو» التي تحظى بمصداقية كبيرة تقول:«منذ ١١ سبتمبر عملت الحكومة الى اقرار قوانين عبر التصويت وتبنت سياسات واجراءات لا تتوافق مع قوانينا ومع القيم السائدة ولم تكن تخطر على الذهن فيما قبل». وما يؤكده مؤلف هذا الكتاب هو ان الرؤية الرسمية لاحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لا تسمح بتبرير مثل هذا التحول. فإذا كان الاعداء هم «فقراء» يختبئون في كهوف افغانستان فلماذا نخشى الحوار بين زملاء داخل البنتاجون؟ وكيف يمكن تصور ان حفنة من الارهابيين يمكنهم ان يجمعوا ويوظفوا معلومات متفرقة حول

مشتريات السلاح ويستنتجون من ذلك خطط جيوش الولايات المتحدة؟ ثم لماذا يتم تعليق آلية العمل الاعتيادي للمؤسسات وحرمان البرلمانيين وحتى في جلسات مغلقة، من المعلومات التي لابد منها للحياة الديمقراطية؟ وهل نحن بالأحرى امام تغيير في النظام السياسي.. وتغيير تم الاعداد له منذ فترة طويلة قبل اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟

كتاب ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التزييف المخيف، الحلقة الخامسة

صبيحة الحادي عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١، وعندما لم يكن أحد قد فهم ما يجري من خلال الصور التي بثتها قناة الـــ «سي. إن. إن» الاخبارية وما اذا كان الأمر يتعلق بحادث طيران ام بعملية ارهابية، اشار معلقو هذه القناة التلفزيونية الى امكانية ان يكون المسئول عنها هو اسامة بن لادن. ثم شيئاً فشيئاً أصبحت هذه الفرضية هي السائدة، اذ ان اعتداءات تتسم بهذا القدر من «البربرية»، كما ردد المعلقون والرسميون الامريكيون، لا يمكن ان تكون الا من فعل «همجي غريب تماماً عن العالم المتمدن».

وتحولت الاشاعة، خلال ساعات قليلة، عملياً الى نوع من الخبر اليقين اعادته الصحافة الى مصادر حسنة الاطلاع عموماً او مصادر قريبة من التحقيق. واخذت بعد ذلك صيغة رسمية بعد ان اعلن وزير الخارجية الامريكي «كولن باول» بان «ابن لادن» هو في واقع الامر «المشتبه به الرئيسي» قبل ان يتدخل الامريكي جورج بوش نفسه لتغدو بمثابة ادانة معلنة.

من القطيعة الى العداء كانت الولايات المتحدة قد أهملت كثيراً مصير افغانستان بعد هزيمة الاتحاد السوفييتي ورحيل جنوده عن اراضيها، وتركت هذه البلاد بين ايدي «قادة الحرب» من الذين كان بعضهم قد جاء من مختلف مناطق العالم العربي والاسلامي للنضال ضد الجيش الاحمر ولربما ان ابن لادن قد توقف عندئذ عن التعاون مع الأطراف الامريكية، وهو التعاون الذي كان قد بدأ منذ عام ١٩٧٩ في افغانستان. واعتباراً من «القطيعة» بدأت مسيرة «العداء» التي شكلت احداث الصومال في عام ١٩٩٢ الحلقة الرئيسية الاولى فيها اذ ان بعض اولئك الذين كانوا قد ساهموا في العمليات ضد السوفييت في افغانستان ساهموا في عملية أدّت الى مقتل تسعة عشر جندياً امريكياً مما اضطر الجيش الامريكي للرحيل عن الصومال، اي انه بعد السوفييت جاء دور الامريكيين.

وفي يونيو من عام ١٩٩٦ لقي تسعة عشر جندياً امريكياً حتفهم في انفجار وقع بقاعدة الخبر بالسعودية، ووجهت الولايات المتحدة اتهامها لابن لادن كمسئول عن ذلك التفجير. وفي ٧ اغسطس ١٩٩٨ تم تفجير السفارتين الامريكيتين في دار السلام بتنزانيا ونيروبي بكينيا وكانت الحصيلة هي ٢٩٠ قتيلاً و٤٥٠٠ جريح. ومرّة اخرى اتجهت الاتهامات الامريكية الى ابن لادن. وقد ردّت ادارة بيل كلينتون على هاتين العمليتين باطلاق ٧٥ صاروخاً على معسكرات للتدريب في جلال أباد

وخورست بافغانستان وعلى مصنع الشفاء للأدوية في السودان. وأعلن مكتب التحقيقات الفيدرالي الامريكي عن جائزة مقدارها خمسة ملايين دولار لــ «رأس ابن لادن»، كما تم تجميد جميع امواله. وفي ١٢ اكتوبر ٢٠٠٠ هوجمت المدمرة الامريكية «كول» في ميناء عدن باليمن مما اودى بحياة ١٧ من جنود المارينز وجرح ٣٩ اخرين. ومرة اخرى كان المتهم هو ابن لادن. وفي ٨ مايو ٢٠٠١ اعلن وزير الدفاع الامريكي ان العدو رقم واحد للولايات المتحدة لا يمتلك فقط الاسلحة البيولوجية والكيميائية. وانما هو على وشك تصنيع القنبلة النووية واطلاق قمر صناعي.

بالمقابل اعرب ميلتون بيردن الرئيس السابق لفرع الاستخبارات الامريكية في السودان خلال عقد التسعينيات الماضي، وأحد المسئولين الرئيسيين عن العمليات السرية لوكالة الاستخبارات الامريكية في افغانستان، عن شكوكه حيث قال في مقابلة مع مجلة «وونتلاين» ما مفاده: «ان تبسيط الأمور الى الحد الأقصى وتحميله ــ اي ابن لادن ــ مسئولية الاعمال الارهابية خلال العقد الماضي وجميعها انما يشكل استهزاء بعقل اغلبية الامريكيين. وهذا لا يشجع بالتأكيد حلفاءنا على حملنا على محمل الجد في هذا الشأن». ويتابع ميلتون بيردن الذي وجد هامش حرية اكبر في التعبير بعد احالته الى التقاعد عام ١٩٩٤، قائلاً: «هناك الكثير من الخيال في هذا كله والذي صنع اسطورة ابن لادن لكن هذا يشكل جزءاً من المشهد. فنحن ليس لدينا عدو على مستوى قومي. ولم يعد لدينا عدو قومي منذ انهيار امبراطورية الشر ــ الاتحاد السوفييتي ــ عام ١٩٩١».

وضمن هذا السياق تم اتهام ابن لادن بانه وراء اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١. لكن أمام حالة التشكك التي عرفتها حكومات عديدة اعلن كولن باول، وزير الخارجية الامريكي قوله: «اننا نعمل بجد وجهد من اجل جمع كل المعلومات القضائية والاستخبارية. واعتقد انه سيكون بوسعنا خلال مستقبل قريب نشر وثيقة تقدم بوضوح البراهين حول تورطه في الاعتداءات. ولكن هذه الوثيقة التي أعلن عنها وزير الخارجية الأمريكي مراراً لم تر النور ابداً.

وفي ٤ اكتوبر ٢٠٠١ قدّم رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير تقريراً لمجلس العموم تحت عنوان «مسئولية الاعتداءات الارهابية التي جرى اقترافها في الولايات المتحدة» وحيث نجد الحجة الوحيدة التالية: «ليس هناك اي منظمة اخرى تملك الحوافز وامكانيات القيام بمثل هذه الاعتداءات التي جرت يوم ١١ سبتمبر سوى منظمة القاعدة». في اليوم نفسه صرّح وزير الخارجية الباكستاني رياض محمد خان بان «البراهين» التي قدّمتها الولايات المتحدة لحكومته تشكل قاعدة كافية لتقديم ابن لادن للمحاكمة». اما هذه البراهين فقد تم تصنيفها على انها «اسرار دفاعية» ولم يتم بالتالي الاعلان عنها على الاطلاق.

وفي ٧ اكتوبر ٢٠٠١ ابلغ سفيرا الولايات المتحدة وبريطانيا منظمة الامم المتحدة بان بلديهما قد شرعا بعمل عسكري ضد افغانستان. وقد كتب الامريكي جون نيجروبونت يقول: «ان حكومتي قد

حصلت على المعلومات الواضحة والأكيدة التي تفيد أن منظمة القاعدة المدعومة من نظام طالبان في افغانستان قد لعبت دوراً مركزياً في الهجمات، إن هذه المعلومات «الواضحة الأكيدة» لم يتم تقديمها أبداً لمجلس الأمن.

الابتعاد عن الواقع بعد شريط التسجيل المصوّر الذي تم بثه في ١٠ نوفمبر، والذي كشفت صحيفة «صنداي تلجراف» عن وجوده ويبدو فيه ما يشبه الاعتراف من قبل ابن لادن بمسئوليته عن الاعتداءات حيث اعتبر ان برجي مركز التجارة العالمي هما بمثابة «هدفين مشروعين» حيث يشكلان احد اعمدة الاقتصاد الامريكي وحيث أكد ان «بوش وبلير لا يفهمان شيئاً غير القوة».

وفي ٩ ديسمبر ٢٠٠١ اعلنت صحيفة واشنطن بوست على صدر صفحتها الأولى وجود شريط تسجيل مصوّر آخر. وكان قد قام احد المقربين من «العدو رقم واحد» للولايات المتحدة بتسجيله ويبيّن ردود فعل ابن لادن على احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ويثبت بشكل نهائي مسئوليته عن التخطيط لها. وقد اشارت وكالة رويتر للانباء إلى أن زعيم القاعدة قد اشار الى ان اغلبية قراصنة الجو لم يكونوا انتحاريين وكانوا يجهلون بانه ستتم التضحية بهم.

وقد قام البنتاجون ببث هذا الشريط المصوّر بتاريخ ١٣ ديسمبر ٢٠٠١ حيث يدلي ابن لادن باعترافات تتطابق تماماً مع الرواية الرسمية الامريكية «التي ابعدتنا كثيراً عن الواقع»، كما يقول مؤلف هذا الكتاب، ويقول ابن لادن في هذا الشريط كنت اعتقد ان الحريق الذي سببه وقود الطائرات سيؤدي الى ذوبان البنية المعدنية للمركز التجاري العالمي مما سيؤدي الى انهيار القسم المصاب والطوابق التي تعلوه فقط. وكان هذا هو كل ما نأمله. كنا قد انجزنا عمل اليوم وبدأنا الاستماع للاذاعة «..» وغيّرنا المحطة كي نسمع اخبار واشنطن، حيث لم يأت اولاً اي ذكر للهجوم الا في نهاية نشرة الاخبار وأعلن المذيع ان طائرة قد صدمت للتو المركز التجاري العالمي.

وكان الاخوة الذين سمعوا الخبر في غاية الابتهاج. اما الاخوة الذين قاموا بالعمليات فكل ما كانوا يعرفونه هو ان عليهم القيام بعملية استشهادية، حيث كنّا قد طلبنا منهم الذهاب الى امريكا. لكنهم كانوا قد تدرّبوا ولم نكشف لهم عن العملية حتى اللحظة التي كانوا فيها هناك وكانوا يستعدون لركوب الطائرات.

ويتم التأكيد في نهاية هذا الشريط المسجل على ان الامريكيين قد اصابهم الرعب، وانهم اعتقدوا ان الأمر يتعلق بـــ «انقلاب عسكري»، وهكذا يكون ابن لادن قد اعترف صراحة بمسئوليته عن الاعتداءات بل و«اعترف بأعمال لم تقع». وهنا يتساءل المؤلف عما اذا كان ابن لادن هو عدو للولايات المتحدة حقا ام هو أسطورة من صنع جهات امريكية.

وفي هذا السياق من التشكيك بنقل المؤلف عن مراسل الــ «سي. بي. اس» في ٢٩ يناير ٢٠٠٢ قوله: «في الليلة السابقة للهجمات الارهابية في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، كان ابن لادن في الباكستان «...». وكان قد تم ادخاله الى احد المستشفيات العسكرية سراً في روالبندي لاجراء فحوص طبية». وهنا يتساءل مؤلف هذا الكتاب حول السر الكامن وراء وجود الرجل الذي وضع مكتب التحقيقات الفيدرالي الامريكي خمسة ملايين دولار ثمناً لرأسه، وتم قصف معسكرات تدريب انصاره بالصواريخ، في الوقت نفسه في احد المستشفيات العسكرية الباكستانية في روالبندي، وتحديداً في ظل حماية الجيش الباكستاني نفسه.

وضمن السياق نفسه ينقل المؤلف عن صحيفة «تايم اوف انديا» الصادرة في التاسع من اكتوبر ٢٠٠١ ان الجنرال احمد محمد مدير جهاز الاستخبارات الباكستاني كان قد حوّل في شهر يوليو ٢٠٠١ مبلغ مئة الف دولار امريكي لحساب محمد عطا المتهم بانه كان قائد مجموعات الاستشهاديين يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بالولايات المتحدة. وما يؤكده مؤلف هذا الكتاب هو ان الكشف عن عملية تحويل الاموال هذه لم تثر اي سؤال في امريكا.

وفي ٧ اكتوبر ٢٠٠١ توجّه الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش الى الامريكيين عبر التلفزة كي يخبرهم بان «الحرب قد بدأت». لقد قال: «بناء على أوامري قامت القوات المسلحة للولايات المتحدة بالهجوم على معسكرات الارهابيين وعلى المنشآت العسكرية لنظام طالبان في افغانستان «....». ان صديقتنا المخلصة بريطانيا تساهم الى جانبنا بهذه العملية، كما ان اصدقاء جيدين اخرين، اذكر منهم خاصة كندا واستراليا والمانيا وفرنسا، اعلنوا عن استعدادهم لتقديم القوات بحسب سير العمليات كما ان اكثر من اربعين بلداً في الشرق الاوسط وافريقيا واوروبا وآسيا منحونا حق العبور في مجالهم الجوي والهبوط في مطاراتهم. كما ان الكثيرين منهم تعاونوا معنا على صعيد معلومات اجهزة استخباراتهم. اننا مدعومون من قبل الارادة الجماعية للعالم.

وسوف يلاحظ الشعب الافغاني المضطهد مدى سخاء الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها. اننا سنهاجم الاهداف العسكرية لكننا سنلقي في الوقت نفسه المواد الغذائية والطبية وغيرها لرجال ونساء واطفال افغانستان الذين يعانون من الجوع فالولايات المتحدة صديقة للشعب الافغاني..». وبالوقت نفسه كان رئيس الوزراء البريطاني يتوجه للانجليز كي يؤكد لهم بان قوات صاحبة الجلالة تقاتل في افغانستان الى جانب الامريكيين.

اللعبة الكبرى مجدداً لكن في الوقت الذي بدأت رحى الحرب تدور في افغانستان، يؤكد مؤلف هذا الكتاب ان الصفقات التجارية بدأت وتعاظمت. اذ منذ انهيار الاتحاد السوفييتي واستقلال دول اسيا الوسطى عادت «اللعبة الكبرى» للظهور من جديد. وكان تعبير «اللعبة الكبرى» هذا قد خط طريقه بعد ان استخدمه الشاعر روديارد كيبلنج في القرن التاسع عشر للدلالة على الصراع من اجل النفوذ

بين الامبراطوريات الكبرى في المنطقة، مع محاولة التجنب الكبير للدخول في مجابهات مباشرة.. هذا لاسيما وان منطقة اسيا الوسطى تمتلك ثروات بترولية كبيرة وثروات غازية ايضا، هذا بالاضافة الى الاحجار الثمينة وزراعة نبات الخشخاش.

وكان الرئيس جورج بوش قد شكّل فريقه الحاكم من دوائر المجموعات النفطية الكبرى. هكذا نجد ان مستشارته للأمن القومي «كوندو ليزا رايس» هي احد الكوادر السابقة لشركة شيفرون ــ فوكس كو»، كما ان وزير داخليته «جال نورثون» كان ممثلاً لمصالح شركة بريتش بتروليوم ــ اموكو. كما كان نائب الرئيس الامريكي ديك تشيني ــ وهو الرئيس السابق لشركة هاليبورثون، اي اكبر شركة عالمية في ميدان التجهيزات البترولية ــ قد شكّل اعتباراً من شهر يناير ٢٠٠١ مجموعة تطوير لسياسة الطاقة القومية التي تم اعتبار اجتماعاتها بمثابة أسرار دفاعية الى درجة ان صحيفة الــ «واشنطن بوست» قد وصفتها بانها «شركة سرية». وكان المعلقون يجمعون على الاعتقاد بان الهدف الرئيسي لهذه المجموعة هو استثمار الثروات النفطية والغازية في منطقة بحر قزوين.

وكان السؤال الرئيسي المطروح يتعلق بكيفية نقل النفط والغاز من دون التفاوض مع روسيا وايران، ولذلك برزت اهمية افغانستان التي كانت تعيش حالة اضطراب داخلي كبيرة منذ رحيل السوفييت عنها. كان من المطلوب بناء خط انابيب يصل بين بحر قزوين والمحيط الهندي. وفي ديسمبر من عام ١٩٩٧ علّقت شركة «يونوكال» مشروع بناء هذا الخط بسبب عدم تفهم طالبان، وحيث فشلت كل المحاولات لايجاد حل على الرغم من تعيين جون ماريسكا، نائب رئيس الشركة سفيراً للولايات المتحدة في افغانستان. ولم يتوصل اللقاء متعدد الاطراف الذي تم عقده في المانيا في اواسط ٢٠٠١ الى اتفاق حول مستقبل افغانستان. وقد شارك في ذلك الاجتماع ممثلون عن امريكا وانجلترا وباكستان وروسيا.

هندسة سياسية مختلفة امام الوضع المعقد القائم في افغانستان تحسبت الولايات المتحدة للتخلص من القادة الرئيسيين للفصائل الافغانية وفي مقدمتهم الملاّ عمر والقائد أحمد شاه مسعود «الذي كان معروفاً بعدائه للامريكيين»، واقامة حكومة تكون بمثابة دمية بيدها، وحيث وجدت ان الملك الافغاني السابق ظاهر شاه يتمتع ببعض الشرعية، وحيث كان يعيش منفياً في ايطاليا منذ خلعه هكذا واعتباراً من يوليو ٢٠٠١، تم البدء بالحديث عن الملك المخلوع وعن اعادة تعمير البلاد، وتتابعت المفاوضات في لندن ثم في جنيف تحت غطاء «المنتدى الانساني للبزنس» والذي كانت شركة «يونيكال» تغدق عليه الاموال.

حاولت باكستان، وخشية من ان تجد نفسها في مواجهة ضغوط امريكية ــ انجليزية قوية ــ ان تبحث عن حلفاء جدد قبل ان تهب العاصفة. وهكذا توجهت نحو الصين الباحثة عن منفذ على المحيط الهندي مقابل دعمها العسكري لباكستان. اثار هذا الامر حفيظة الامريكيين والانجليز الذين قرروا ان

ينتقلوا بسرعة اكبر للهجوم قبل ان تعكر الصين صفو «اللعبة الكبرى» الراهنة. من هنا جاء الحضور الكبير للقوات البريطانية والاطلسية في المنطقة. وفي التاسع من شهر سبتمبر ٢٠٠١ تم اغتيال القائد أحمد شاه مسعود، ثم جاءت اعتداءات ١١ سبتمبر لتعطي الشرعية لعملية عسكرية لا يرى بها مؤلف هذا الكتاب سوى «حملة استعمارية تقليدية». لقد انتهت الحرب على قاعدة القرار ١٣٧٨ الصادر عن مجلس الأمن الذي حدد في الوقت نفسه اطار محادثات «بون» في المانيا الذي توصلت فيه الفصائل الى صيغة للحكومة المؤقتة. لقد انتهت الحرب لكن اقوى جيش في العالم لم يستطيع ان يضع يده على «العدو رقم واحد» لامريكا التي كانت قد جاءت آلتها العسكرية القوية للقبض على هذا العدو المزعوم بينما هرب الملاّ عمر الى باكستان على متن دراجة نارية صغيرة.

وفي الوقت نفسه اصبح بامكان زراعة الخشخاش ان تزدهر وتكرّس معظم انتاجها للسوق الامريكية، كما عقدت الحكومتان الباكستانية والافغانية مؤخراً اتفاقاً لبناء خط انابيب آسيا الوسطى.. هذا هي النتائج الاساسية التي يحددها مؤلف هذا الكتاب للحرب الافغانية.

كتاب بنتاجيت،تأليف: تييري ميسان، الحلقة الاولى

تييري ميسان مؤلف هذا الكتاب هو صاحب كتاب «التزييف المخيف» الذي أثار ضجة كبرى بسبب ما يحمله من اتهامات خطيرة لإدارة الرئيس الأميركي جورج بوش حول تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث كانت الاطروحة الرئيسية لذلك الكتاب هي انه لم تكن هناك اية طائرة قد صدمت «البنتاغون».

اما الكتاب الذي نناقشه هنا وكما يقدمه تييري ميسان فليس استكمالاً للكتاب السابق «التزييف المخيف» وإنما هو استكمال للتحقيق حول الاعتداء الذي استهدف مبنى وزارة الدفاع الاميركية «بنتاغون» يوم الحادي عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١.

وما يجعل هذا التحقيق مهماً ومثيراً وجديراً بالقراءة الواعية هو أنه يطرح سلسلة من علامات الاستفهام تبدو واشنطن الرسمية عاجزة عن الاجابة عنها، وراغبة في إسدال ستار الصمت التام عليها.

تم العثور على حطام طائرة البوينغ ٧٥٧ ــ ٢٠٠ التابعة لشركة الخطوط الجوية الاميركية «اميركان ايرلاين» فوق عشب حديقة مبنى وزارة الدفاع الاميركية المعروفة باسم «البنتاغون» يوم ٧ سبتمبر ٢٠٠١. وهذا يعني ان التحقيق الذي ورد في كتاب «التزييف المخيف» قد سقطت مصداقيته تماماً، فلم يعد هناك أي مجال للشك في ان طائرة قد تحطمت بالفعل على مبنى وزارة الدافع الاميركية، (على عكس ما جاء في كتاب «التزييف المخيف»).

لكن هذا لا يمنع واقع أن الصحف التي نشرت تلك الصورة الشهيرة قد استعجلت وحرقت المراحل، حيث انها لم تبذل الحد الادنى من الجهد المطلوب للتحقق من صحتها، وبدا في الواقع انه تم العثور على قطعة من حطام طائرة لم يكن «البنتاغون» نفسه يعرف بوجودها هذا بالاضافة الى صعوبة معرفة من أي جزء من طائرة البوينغ قد جاءت هذه القطعة.

التقط تلك الصورة الشهيرة «مارك فارام» المصور الصحافي بوكالة «سي.ان.آي» وتم نشرها للمرّة الاولى من قبل صحيفة «لوموند» في ٢١ مارس ٢٠٠٢. ثم أعادت نشرها صحف ومجلات عديدة، واحياناً على مدى صفحات كاملة وبالألوان في مختلف أرجاء العالم.

تمثل هذه الصورة قطعة ملتوية باللونين الاحمر والابيض، وتشبه حطام آلة طائرة. لكن جميع الصحف التي نشرت تلك الصورة أو تحدثت عنها ذهبت إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير من تحديد مواصفاتها اذ ذكرت انها تقدم «برهاناً» مصوراً» على ان الطائرة التي كانت تقوم بالرحلة «إيه.إيه ٧٧» تحطمت على مبنى البنتاغون، أي طائرة البوينغ ٧٥٧٥ ــ ٢٠٠ التابعة للخطوط الجوية الاميركية «اميركان ايرلاين».

نشرت صحيفة «لوموند» الفرنسية هذه الصورة على صدر صفحتها الاولى. وكتبت عنها التعليق التالي: التقط هذه الصورة مصور عسكري يعمل في مجلة «نيفي تايم» بتاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وقالت وكالة الأسوشيتدبرس التي وزعتها انها تبين قطعة من حطام الطائرة على مدرج هبوط الطائرات العمودية الغربي للبنتاغون، وحددت الوكالة تعليقها بأن قطعاً قد تناثرت بسبب الصدمة ووصلت حتى الطريق المجاور ــ الاوتوستراد، انها احدى الوثائق النادرة المتوفرة في الوكالات المصورة. وكان مارك فارام صاحب الصورة قد أكد صحتها لصحيفة «لوموند» يوم الثلاثاء ١٩ مارس.

وكانت افتتاحية الصحيفة في ذلك اليوم اكثر تدقيقا حول ما يراه قسم التحرير عند تلك الصورة، وقد جاء في الافتتاحية: «رأي شهود عيان الطائرة قبل تحطمها على مبنى البنتاغون، بل وان هناك صورة تبين قطعة منها تمّ العثور عليها على بعد مئة متر من المبنى».

كذلك طمأنت الصحيفة قراءها الى ان خبراء مجهولين قد اوضحوا ان الطائرة قد تناثرت قطعاً تحت وقع الصدمة، بل وانها ذابت، وجاء في الصحيفة تحت عنوان «تحطم طائرة فعلاً على مبنى البنتاغون» بتاريخ ٢١ مارس ٢٠٠٢ ايضا ما يلي: «كانت الصدمة شديدة جداً مما أدّى الى تناثرها» كما اشار احدهم ــ أي الخبراء ــ «ثم شب حريق مباشرة. وعلى خلاف ما يجري في حالة السيارات، فإن الطائرات مصنوعة خاصة من مادة الالمنيوم التي تبدأ بالذوبان بدرجة ٦٠٠، هكذا ذابت مكونات الطائرة».

وجاء بعد ذلك في مجلة «ماريان» في اطار المنطق نفسه من التحليل: «وماذا عن غياب الجناحين؟ ان خبراء صناعة الطيران يؤكدون بشكل قاطع بأنهما قد ذابا في الحريق لانهما مصنوعان من مادة الالمنيوم».

ولم لا؟ لكن هذا يتطلب وجود مئة طن من المعدن الذائب، وهذا غير موجود، وكان تفسير مثل هذا الغياب للقراء في القول بأن الحرارة العالية التي بلغها الحريق ادّت الى التبخر، وقد جاء في مجلة «انترفو» لشهر ابريل ٢٠٠٢: «ان الحرارة العالية التي سببها الانفجار كافية لتناثر الطائرة. ولعل ميسان ـــ تييري ميسان ـــ لا يعرف ذلك، لكن الالمنيوم يتحوّل في درجة ٣٠٠٠ الى غاز».

لكن مثل هذه الفرضية كان لابد أن يترتب عليها عدة نتائج فإذا كانت حرارة احتراق الطائرة قد زادت عن ثلاثة آلاف درجة داخل المبنى وعلى مستوى الطابق الأرضي والطابق الأول فكيف يمكن تصديق أن الطوابق العليا قد استطاعت مقاومة مثل هذه الحرارة المرتفعة؟ وكيف أمكن للسلطات تحديد هوية الضحايا التي زعمت بأنها قد عثرت عليهم في هذا الفرن؟ بالاضافة الى هذا كله وكتبت صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية بتاريخ ٣٠ مارس ٢٠٠٢ مؤكدة أن احدى المسافرات (على الطائرة) قد تمّ التعرف على هويتها بفضل بصمات اصابعها، فكيف اذن تبخر المعدن بينما ظلّ بالامكان التعرف على هوية اصحاب الجثث؟ إن هذه الصحف كلها قد أكدت اذن ان الطائرة قد «تناثرت» قبل أن «تذوب» و«تتحول الى غاز» ومع ذلك كله حددت هوية قطعة من حطامها غير محترقة ابداً.

البنتاغون يواجه اللغز

ان المواد المنشورة التي قدّمت القطعة المعنية من حطام الطائرة تدحض هي نفسها، في الواقع، الرواية الرسمية. وينتج من المؤتمر الصحافي الذي تمّ عقده في البنتاغون ما بين الثاني عشر والخامس عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١ انه لم يتم العثور على أية قطعة مهمة من حطام الطائرة. وحسب رواية وزارة الدفاع الاميركية فإنه تمّ فقط العثور على الصندوقين الاسودين ومصباح امامي للطائرة، كان ذلك التصريح بتاريخ ١٤ سبتمبر ٢٠٠١.

وبتاريخ ١٢ سبتمبر سأل صحافي «ايد بلوجير» رئيس فريق الاطفاء عمّا اذا كان قد بقي شيء ما من الطائرة. وكان جوابه واضحاً عندما قال: «بالنسبة للطائرة هناك قطع صغيرة يمكن رؤيتها في الداخل اثناء عمليات مكافحة النيران التي تحدثت لكم عنها، لكن ليست هناك قطع كبيرة» بتعبير آخر «ليست هناك قطع من بدن الطائرة او اي شيء من هذا القبيل».

وبتاريخ ١٥ سبتمبر، واثناء مؤتمر صحافي جديد مكرّس لاعادة تعمير البنتاغون، تم توجيه السؤال لتييري ميتشيل عما رآه كبرهان على تحطم الطائرة.. فأشار الى انه لم يكن ممكنا الا رؤية «بعض

القطع الصغيرة» والسؤال التالي ذو أهمية كبيرة وهو «على أي عمق داخل المبنى، كانت تلك القطع؟ فمرّة اخرى نريد ان نعرف كيف دخلت الى المبنى؟»، وكان الجواب الرسمي بليغاً، اذ قال ميتشيل: «أيمكن ان نبدأ بمشاهدة نهاية شريط الفيديو، قبل ان نعود الى هذا السؤال؟ وافق الصحافيون على ذلك، لكن ميتشيل لم يعد مع ذلك الى ذلك السؤال الجوهري قط.

وعند طرح السؤال عن البراهين المادية الدالة على وجود طائرة، اجاب لي ايفي، رئيس مشروع اعادة تجديد مبنى البنتاغون، هناك براهين مهمة على وجود الطائرة في الخارج وهي غير مرئية تقريباً. وليس من بين القطع المتناثرة اية قطعة كبيرة والقطع الاكبر الموجودة هنا تشبه قطعا من المحرك وهي دائرية.

وبتاريخ ١٤ سبتمبر اعلنت وزارة الدفاع الاميركية ان رجال الانقاذ وجدوا الصندوقين الأسودين عند الساعة الرابعة صباحاً. ثم وجدوا مصباحاً امامياً، وبعدها لا شيء.. ان عملية البحث قد توقفت عندما بدأت اعمال الهدم والتعمير (اعادة البناء). ولكن من الملاحظ ان قطعة الحطام المزعومة من طائرة البوينغ التي التقطها المصور مارك افرام غابت تماماً فيما بعد عن التصريحات الرسمية.

لقد تحدثت السلطات الاميركية، اذن، في الايام الاولى التي تلت التفجيرات عن وجود قطع صغيرة فقط، وعن نتف معدنية غير معروفة الهوية. ولم ير أحد من بين رجال الإطفاء والمهندسين المعماريين ورسميي وزارة الدفاع اية قطعة من هيكل الطائرة في مكان الانفجار.. هكذا اذن وبعد ستة اشهر وجدت الصحافة الفرنسية قطعة من الطائرة لم تكن معروفة حتى من قبل وزارة الدفاع الاميركية نفسها.

لم تكن رواية وزارة الدفاع الاميركية هي الرواية الرسمية الوحيدة ففي شهر ابريل من عام ٢٠٠٢ قدّم مكتب التحقيقات الفيدرالي الاميركي رواية للاحداث دلّت على ان عناصره قد جمعوا قسماً كبيرا من حطام الطائرة مما قد يسمح بإعادة تجميعها تقريبا.. وهذا ما أكده كريس موراي الناطق الرسمي لمكتب التحقيقات الفيدرالي في واشنطن، حيث قال في جواب عن سؤال وجهته له صحيفة «ليبرسيون» الفرنسية: «ان قطع الطائرة مخزّنة في مستودع وعليها ارقام تخص الطائرة التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧».

هذا يعني ان الطائرة لم تتناثر الى قطع صغيرة كما أكّدت وزارة الدفاع الاميركية في سبتمبر ٢٠٠١. ولم تذب كما شرحت عدة صحف فرنسية في مارس ٢٠٠٢. فمكتب التحقيقات الفيدرالي الاميركي قد اكد في شهر ابريل التالي أنه يمكن عمليا اعادة تجميع الطائرة.

كذلك ناقض عدد من الشهود ما كانوا قد ادلوا به سابقا مثل «ايد بلوجير» رئيس فريق الاطفاء الذي كان قد أكد في شهر سبتمبر انه لم ير سوى القطع الصغيرة المتناثرة ثم عاد وناقض هذا القول عندما سألته «فاليري لابروس» من وكالة «ديجيبرس» وأكد انه وصل الى مكان الانفجار بعد ما بين ٣٥ الى ٤٠ دقيقة وانه رأى «قطعاً من هيكل الطائرة من الجناحين وآلية الهبوط وقطعاً من المحرك».
انني استطيع ان اؤكد لكم «انه كان هناك حطام طائرة «وذلك قبل ان يضيف مجدداً قوله بأنها طائرة من الخطوط المدنية» بل ويؤكد رئيس فريق الاطفاء، انه على الرغم من الحرارة العالية التي تفوق ٣٠٠٠ درجة قد رأى مقاعد من الطائرة.. بل ورأى احد «الصندوقين الاسودين» اي ما كان قد تم الاعلان رسمياً بأنه قد حصل بعد ثلاثة ايام من الانفجار وحيث لم يكن ممكنا ــ كما قيل رسميا ايضا ــ استغلال المعلومات الموجودة فيه لتعرضه لحرارة عالية جداً ولفترة طويلة.

وبتاريخ ٣٠ مارس ٢٠٠٢، نشرت صحيفة «ليبراسيون» شهادة اخرى لأرثر سانتانا، جاء فيها أن «رجال الانقاذ جمعوا قطعاً من الطائرة تبعثرت هنا وهناك.. وقد تم وضع هذه القطع في أكياس من البلاستيك ذي اللون البني وكتب عليها براهين مادية، وقد كانت هناك قطعة كبيرة يحملها شخصان ويبدو عليهاب وضوح حرف «سي» الذي تحمله طائرات «اميركان ايرلاين» كذلك نشرت الصحيفة شهادة اخرى في اليوم نفسه مايك والتر جاء فيها: «بعد الانفجار توجهت نحو البنتاغون. كنت على بعد أكثر من مئة متر من مكان الصدمة، لكن كانت هناك قطعاً من الطائرة متناثرة هنا وهناك..
وكان علي ان أحيد عدة مرات عن الحطام.. بل واتذكر ان احدهم اخذ بيده قطعة والتقط صورة وهي بيده وخلفه البنتاغون» وبتاريخ ١١ ابريل ٢٠٠٢ روى «جيمي ماك انتير» مراسل الــ «سي.ان.ان» في البنتاغون لمجلة «باري ماتش» الطريقة التي عاش فيها لحظات الانفجار عندما كان في مكتبه بمبنى «البنتاغون» وقال: «لقد ركضت مباشرة الى مكان الانفجار.. كانت المئات من قطع حطام الطائرة تغطي الارض».

هذه الشهادات السابقة تتحدث عن قطع حطام كبيرة بل وعن صور لها.. ولكن لم يتم نشر سوى صورة وحيدة هي تلك التي التقطها مارك فارام، ولم تحتفظ أية وكالة صور بأية صورة اخرى. فلماذا؟ ان الاجابة على هذا السؤال تقتضي شرح الشهادات المعنية.

الصورة ــ المشكلة

ان التشابة في الألوان بين الاحمر المحاط بالأبيض كما يبدو في الصورة الوحيدة المنشورة ولون طائرات الخطوط الجوية الاميركية «اميركان ايرلاين» يسمح بالاعتقاد بأن التناظر كبير.. مع ذلك هناك تفضيل صغير يبعث على التشوش، وهو ان قطعة الحطام ليس فيها اللون الفضي الذي يميز طائرات الخطوط الاميركية المعنية، هذا بالاضافة الى ان الفحص الدقيق للصور المتوفرة لطائرات

البوينغ ٧٥٧ ـــ ٢٠٠ التابعة لشركة «اميركان ايرلاين» لايسمح بتحديد الجزء الذي أتت منه القطعة موضوع الصورة.

ان المنحنى المائل (المقوس) للاحمر والابيض يستبعد ان يكون الجزء هو الذي يحمل حرفي «ايه.ايه» المكتوبين على ذيل طائرات «اميركان ايرلاين» كما ان دراسة العصبة الزرقاء والبيضاء والحمراء التي تلف حجرة الطيار ومقدمة الطائرة تستبعد ان تكون القطعة المعنية منها. والجناحان ليس فيهما اللون الاحمر وانما الاسود والابيض فقط. اما الجزء الاسفل من الطائرة فهو باللون الرمادي فقط.. بقيت هناك كلمة «اميركان» المكتوبة على الجزء الجانبي للطائرة.. هنا ايضا تبرز مشكلة جديدة إذ أن شكل الألوان يبدو انه يدل ان الامر يتعلق بزاوية حرف وبالتالي ينبغي ان يُلاحظ بجانبه تماما شيء من الحرف التالي وهذا ما لا يبدو ابدا على الصورة. وامكانية اخيرة هي ان يكون الامر يتعلق بالحرف الاخير من كلمة.. هنا ايضا مشكلة جديدة اذ يفترض ان يمكن تمييز انحناءة الباب الذي يقع مباشرة الى جانب حرف «إن» آخر حروف كلمة اميركان إيرلاين ـــ هذا ايضا لا يبدو على الصورة.

لكن الحطام المهشم والمشوّه بسبب الانفجار يجعل ايضا من الصعب التأكيد بأن القطعة ـــ موضوع الصورة ـــ ليس من طائرة البوينغ التابعة للخطوط الجوية الاميركية. ومن الصعب ايضا التأكيد بأنها منها بالقطع لاسيما وانها لا تتناظر مع أية قطعة بالطائرة كما ان الالوان ليست حصراً بطائرات «اميركان ايرلاين» وانما هي بالاحرى الوان الولايات المتحدة وتستخدمها اعداد كبيرة من الآليات العسكرية والمدنية الاميركية.

من جهة اخرى كانت عدة شهادات قد ذكرت بان طائرة عمودية ـــ هيلوكبتر كانت متواجدة امام الواجهة قبل الانفجار بقليل.. وقد اشارت بعض هذه الشهادات الى ان الآلة التي ضربت البنتاغون كانت قد صدمت اولاً الطائرة العمودية.. فلماذا لا تكون القطعة المعنية هي احد قطع حطام هذه الطائرة؟ كانت وزارة الدفاع الاميركية نفسها قد صرّحت خلال شهر سبتمبر ٢٠٠١ بأنه لم تكن هناك قطع كبيرة من حطام الطائرة. وهذا قد يعني بان القطعة ـــ موضوع الصورة ـــ قد لا تكون من طائرة البوينغ ٧٥٧ ـــ ٢٠٠ التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧ لشركة «اميركان ايرلاين» ولم يستطع «هيرفي كيمن» الصحافي في جريدة «لوموند» ان يتجاهل عدم الانسجام الكبير في الحديث عن مصدر القطعة المعنية. وبتاريخ ٢٣ مارس ٢٠٠٢ وخلال بث تلفزيوني شارك فيه هذا الصحافي مع تييري ميسان مؤلف كتاب «التزييف المخيف» وجرى النقاش التالي: تييري ميسان: «هذا تزوير كبير ان صحيفة «لوموند» نشرت صورة مصدرها مصور رسمي لبحرية الولايات المتحدة، وتبدو في الصورة قطعة معدنية غير محددة الهوية، وكانت وزارة الدفاع الاميركية قد قالت لنا انه لم يتم العثور على مصباح امامي للطائرة في حديقة البنتاغون، وهذا يعني بأن السلطات تقبل بأن القطعة ليست من

الطائرة. مع ذلك فإن صحيفة «لوموند» قد نشرتها كدليل. وأضافت انها قد اتصلت يوم ١٩ مارس بالمصور للتأكد من صحة الصورة، وهذا أمر لا يشك به أحد ولكن المهم هو انها لا تقدم أي شيء عن دلالاتها. وانني أريد ان أعرف لماذا زجّت صحيفة «لوموند» قراءها في طريق الخطأ بواسطة هذه الصورة.

أجاب روجيه كيمن بعد ان دعاه مقدم البث التلفزيوني للحديث: «من المهم جداً ان يذكر تييري ميسان هذه الصورة وما قاله عنها هو دقيق، أي انني أوافقه الرأي وكان هناك نقاش داخل هيئة تحرير صحيفة «لوموند»، وقد كنت شخصياً مع عدة صحفيين آخرين من معارضي نشر هذه الصورة التي تم تقديمها كعنصر في البرهان، وانه جرى استخدامها بطريقة تدفع نحو الاقتناع بذلك...».

لاشك في ان تصريح روجيه كيمن يعد قاسياً جداً حيال صحيفته. وعلى الرغم من اقتناعه بأن تلك القطعة هي جزء من طائرة البوينغ، فإنه أكد ايضاً انه ضد نشرها كعنصر في البرهنة على ذلك. وهذا ما يبرره بالقول: «كانت لدي مشكلة في استخدام تلك الصورة كبرهان، المهم بالنسبة لي هو السياق والمؤلف ــ المصور ــ وظروف اعداد الوثيقة والمحيط السيوسيولوجي لعملية الاعداد هذه.. ولم نكن عند نشر الصورة قد التقينا بمارك فارام، كنا فقط قد اتصلنا به بالبريد الالكتروني وأجابنا انه بالفعل صاحب الصورة. ويتابع روجيه كيمن قائلا: «الأمر الأساسي بالنسبة لي هو الشهادات.. انا أصلاً مؤرخ والشهادة على الاحداث هي أثر جوهري في ميدان التاريخ». ان كل ما يمكن وصف سلوك صحيفة «لوموند» فيه هو انها لم تكن حازمة في التدقيق بصحة ما تنشره.

تحقيق مضاد

بعد ان يقدم هذا الكتاب عدة عينات من كتابات عدة صحف ومجلات فرنسية مثل «لوموند» و«ماريان» و«باري ماتش» التي أجرت مقابلة مع مارك فارام المصور الاميركي صاحب الصورة الشهيرة أكد فيها انه كان موجوداً في مكان الانفجار بعد أربع دقائق فقط من وقوعه وبأن ما رآه هو حطام طائرة، بعد هذا كله يتم تقديم تحقيق مضاد بالاعتماد على مواقع الانترنت، وخاصة موقعين هما «هواكس بوستر» باللغة الفرنسية و«سنوبس» باللغة الانجليزية اللذين تم تقديمهما على انهما مرجعين أخيرين.

ان موقع «سنوبس» مثلاً وعلى عكس الرواية الرسمية أكد ان طائرة البوينغ قد سببت أضراراً كبيرة جداً (خمسة جدران) ونشر الموقع ليدعم رؤيته صورة مأخوذة بتاريخ ١١ مارس ٢٠٠٢ أي بعد ستة أشهر من الاحداث، وخاصة بعد ان كانت السلطات قد هدمت جناح المبنى كي تعيد بناءه. لكن عدة سطور فقط تم الحديث عن اصابة «٣ جدران فقط مع ما يحمله هذا من تناقض في الأقوال. وتناقض آخر عندما اشار الموقع نفسه الى انه حسب ما يصف الشهود وما تبينه الصور، فإن الطائرة قد

لامست الأرض قبل الصدمة، مما قلل جداً من سرعتها وبالتالي من الخسائر. لكن ليس هناك ــ على حد علم واضعي الكتاب ــ أي شاهد قد ردد مثل هذه الرواية، كما ان الصور المختلفة التي وزعتها رسمياً مواقع الجيش الاميركي تبيّن عشب حديقة البنتاغون سليماً ولم يمسه أي أذى.

وحول تفسير سر اختفاء الجناحين قدّم الموقعان المذكوران الاجابة نفسها، وهي ان الجناحين قد انثنيا على حجرة القيادة ونفذا فيما بعد مع جسد الطائرة الى الداخل حيث احترقا وذابا. لكن مثل هذا التفسير «الفريد» لا يسمح بفهم سبب غياب آثار الجناحين عن واجهة مبنى البنتاغون.

وبعد تفنيد «تفسيرات» اخرى قدمها الموقعان وبدت بعيدة عن المنطق، يتم طرح التساؤل عن سر المبالغة في تقدير قيمتهما على الرغم من تأهيلهما الضعيف في مثل هذا الميدان، وحيث ان القائمين على موقع «هواكس بوستر» أنفسهم قد أكدوا القول «اننا لسنا خبراء في ميدان الصناعة الفضائية أو في تحطم الطائرات أو في المتفجرات».

وسؤال آخر: لماذا ذكرت الصحف آراء عدد من الخبراء غير المعروفين والذين ناقضوا بعض المرات أقوالهم نفسها، ولم تذكر «فرانسوا جرانجييه» الذي كان يدعى عادة من قبل وسائل الإعلام عند وقوع كوارث جوية؟ هل هذا يعود لأنه اعترف علانية بما يلي: «ما هو مؤكد عندما نرى صورة تلك الواجهة السليمة هو انه لم تمر أية طائرة من هنا، ويمكن تصور انه لا يمكن لطائرة من هذا الحجم ان تعبر نافذة وتترك الاطار سليماً، لكن من الواضح اذا كانت هناك طائرة فإنها ضربت في مكان آخر».

كتاب ــ بنتاجيت ــ تأليف: تييري ميسان
عرض ومناقشة: د. محمد مخلوف ــ طائرة أم صاروخ؟
أربع شهادات تثير الحيرة حول ما تعرض له البنتاغون
الحلقة الثانية

صبّت الشهادات التي ساقتها الصحافة الفرنسية في طاحونة واحدة، وهي أن الشهود الذين يعدون بالألوف حسب بعض المصادر زعموا انهم متيقنون من أنهم قد رأوا طائرة البولينغ ٧٥٧ ــ ٢٠٠ التابعة لشركة الخطوط الجوية الاميركية «اميركان ايرلاين» وهي تضرب واجهة البنتاغون وتختفي داخل المبنى. لكن هنا ايضا يدفع التمحيص الدقيق لمضمون هذه الشهادات الى التريث.

فأحياناً تتباين الشهادات المنشورة في باريس بعد ستة اشهر من تفجيرات ١١ سبتمبر الى حد كبير من تلك التي تم جمعها على وجه السرعة على الشاطيء الآخر من الاطلسي. بل ويلاحظ أن العناصر التي تتعارض مع الرواية الرسمية قد جرى طمسها بكل بساطة.

تعود الشهادات الأولى المنشورة الى مقال تضمنه عدد «الواشنطن بوست» الصادر في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وساهم فيه ثمانية وأربعون صحافيا، ولاشك في أن هذا العدد الذي يحتوي اقوال أول الشهود يعد كبير القيمة، ذلك ان ما قالوه كان قليل التعرض، بحكم الوقت، لعملية اعادة توليف وتركيب ولأن آلة الاستغلال الاعلام كانت قد بدأت التحرك بالكاد.

ومن الشهادات الأولى تلك التي قدمها كيرك ميلبورن مدير احدى الورش في شركة اتلانتيك. لقد تحدث عن طائرة وعن قطع تتطاير وليس عن بوينغ. يقول: «لقد سمعت ضجة طائرة ورأيتها وشاهدت شظايا تتطاير. تصورت انها تضغط على فقراتي سمعت صوتا يشبه (وش وش) ثم اندلعت النار وارتفع الدخان. وسمعت انفجارا ثانيا» كانت ذاكرته السمعية دقيقة فالطائرة كان لها ضجة خاصة وكان هناك انفجارات.

الشاهد الثاني هو ستيف باترسون البالغ من العمر ٤١ عاما والذي رأى طائرة فضية اللون تمر مقابل نافذته حيث انه يقطن في الطابق الرابع عشر من بناية «بنتاغون سيتي». وقد جاء في شهادته لصحيفة «الواشنطن بوست» ما يلي: «كانت الطائرة التي كانت تصدر ضجيجا هائلا كطائرة مطاردة، تحلق فوق مقبرة ارلنغتون وعلى ارتفاع منخفض جدا. وقال ايضا ان الطائرة كانت تطير بسرعة كبيرة الى درجة انه لم يستطع ان يقرأ ما هو مكتوب عليها. مع ذلك كان وصفه دقيقا، اذ يتابع القول: «كانت الطائرة التي يبدو أنها تتسع لما بين ثمانية الى عشرة اشخاص تتجه مباشرة نحو البنتاغون».

وهذا الشاهد الذي يعمل رساما هندسيا كان بعيداً نسبياً عن البنتاغون مما سمح له بالرؤية لفترة طويلة.. وشهادته دقيقة وتتعارض مع الرواية الرسمية. ومن المدهش ان هذه الشهادة لا تتناظر مع الحالة الذهنية للحظة وقوعها، اذ كان بصدد مشاهدة صور استهداف طائرة بوينغ لبرج مركز التجارة الدولي: الامر الذي كان يمكن ان تكون له آثار عليه. والأمر لا يتعلق اذن بنوع من التركيب الذهني اللاحق كما هي الحال كما يبدو لكثير من الشهادات الصادرة عن اناس كانوا قريبين جداً من البنتاغون والذين كان الزمن المتاح لهم لملاحظة ما يجري أقل من ثانية وبمجال رؤية ضيق جداً. ما قاله يعارض الرواية الرسمية، إذ ان الأمر يتعلق، كما قال بطائرة صغيرة مع ضجة طائرة مقاتلة.

وللأسف لم يستطع تييري ميسان وفريقه طرح الاسئلة عليه اثناء تحقيقهم، ومن المحتمل جدا ان هذا الشاهد «المزعج» لم يعد يرغب في الاجابة عن اسئلة الصحافة.. ولم يستطع احد العثور عليه سوى مجلة «باري ماتش» نجح احد مراسليها وهو رومان كيلرجات في دفعه للكلامه.

لقد قال هذا الشاهد للمجلة: كنت اشاهد صور مركز التجارة الدولي عندما رأيت قبالة نافذتي طائرة تمر على ارتفاع منخفض جداً الى درجة انها اعطت الانطباع بأنها تريد الهبوط على الطريق العريض لكنها كانت تحلق بسرعة لم استطع معها ان اقرأ ما هو مكتوب عليها ثم رأيتها تتجه نحو البنتاغون بانخفاض اقل من مستوى قمم الشجر وتصدمه، لقد ابتلع البناء الطائرة فارتفعت عندها كرة هائلة من النار. في هذه الشهادة التي استعاد فيها صاحبها ما قاله في شهادته الاولى كلمة كلمة غابت جملتان او بعضهما وهما قوله بأن تلك الطائرة التي تبدو انها تتسع لما بين ثمانية الى عشرة اشخاص وايضا الحديث عن ضجيج هائل كطائرة مطاردة.

لقد سألنا المكتب الاميركي لمجلة باري ماتش واكدت لنا فيريا روجيك مديرة المكتب بأن زميلها رومان كليرجات هو الذي اجرى المقابلة، واكدت انها لم تعد تتذكر كيف تم العثور من جديد على باترسون وبأنها قد اضاعت فيما بعد عنوانه. جدير بالذكر ايضا ان صحيفتي ليبراسيون ولوموند الباريسيتين قد ذكرتا شهادة باترسون للرد على تييري ميسان ولكن من دون ان تتطرق اي من الصحيفتين الى التباين بين شهادته وبين الرواية الرسمية.

الشهادة الثالثة، بين الشهادات الاولى بعد التفجيرات مباشرة هي لازدورك هاجوس الذي كان يقود عربته على الطريق القريب من البنتاغون حيث قال انه شاهد طائرة تحلق على ارتفاع منخفض جداً بالقرب من الابنية المجاورة، واشار ايضا الى انه تعرف على شارة «اميركان ايرلاين» قبل ان يرى الطائرة تتحطم على البنتاغون. وتوم سيبير المهندس الذي يعمل في البنتاغون، هو صاحب الشهادة الرابعة من بين الشهادات الاولى الذي قال لقد سمعنا شيئاً يصدر صوتا كالصاروخ ثم سمعنا انفجاراً قوياً جداً.

الشهادات الاربع السابقة نشرتها صحيفة الواشنطن بوست يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١، الشاهد الاول كيرك ميلبورن لا يتحدث عن بوينغ وانما عن طائرة من دون اي تحديد لنوعها سوى انها كانت تصدر صوتا خاصا، اما الشاهد الثاني ستيف باترسون فقد تحدث عن طائرة صغيرة يمكنها ان تقل ما بين ثمانية الى اثنى عشر شخصاً، اما الشاهد الثالث ازدورك هاجوس فقد حدد انه رأى طائرة تابعة للخطوط الجوية الاميركية اميركان ايرلاين اما الشاهد الاخير فلم ير طائرة وانما سمع ضجة صاروخ.

ملاحظات حول الشهود

ان تلقي اقوال اي شاهد امر صعب فالوضع الذي يتم التحدث فيه تكون له بصورة عامة بعض العواقب التي قد تغير طبيعة ما يساق من كلام، فأولا يميل كل شاهد بصورة غير واعية الى اقلمة أفكاره مع ما يريده المتحدث البديل ويحاول ان يذهب في الاتجاه الذي يعطي قيمة اكبر لما هو مرغوب منه قوله.

وثانيا عندما يتعلق الامر بأحداث ذات معان سياسية او اجتماعية فإن كل شاهد يميل الى الانحياز للموقف الذي تأخذه المجموعة الاجتماعية المعنية والتي يمتلكه الشعور بأنه ينتمي اليها او يمثلها، ولنتصور حادث سير تورط فيه سائق سيارة وراكب دراجة وأحد المشاة ان الشهود من «قادة السيارات» سيميلون بشكل طبيعي إلى توجيه اصابع الاتهام لسائق الدراجة او للشخص الماشي والشهود سائقو الدراجات سيميلون الى تبرئة سائق الدراجة زميلهم بينما سيسعى الشهود المشاة الى رفع الاتهام عن الشخص الماشي.

هذا يعني ان الشهود يجدون دائما الدوافع ليقدموا رواية للاحداث تتناظر مع دورهم الاجتماعي وهذا قد يتم بصورة واعية او غير واعية ارادية او غير ارادية.

ان مثل هذا السلوك الذي يمكن ملاحظته خلال اي تخصيص سوسيولوجي او سيكولوجي يبدو مقبولا ايضا عندما يتم تطبيقه على اي حادث مأساوي لاسيما اذا كان مثل هذا الحادث قد جرى بسرعة وفي سياق مشوش، وفي هذا النمط من الاوضاع لا تستطيع حواس الفرد ان تلم غالبا بالحدث بشكل كامل، وهذا يعني ان الدماغ هو الذي سيقوم فيما بعد بعملية التوليف بين مختلف العناصر التي تلقاها كي يقدم رواية متناسقة فكريا وهذا فعل انعكاسي يكمن في اعادة ترتيب احساس تم تلقيه غريزيا واستبداله بآخر يشكل جزءا من مكتسبات الذاكرة هكذا وعندما يسمع الناس اي صوت بشكل سيىء، صوت او مجموعة من الاصوات فان المنطقة السيكولوجية السمعية تعيد ترتيب الاشياء وتستعيض عما لا تعرفه بما تعرفه والامر نفسه بالنسبة للنظر فان اية صورة تتم رؤيتها بشكل سريع بحيث لا يمكن تمييزها بدقة فانه تتم الاستعاضة عنها بصورة اخرى تشكل جزءا من الحصيلة البصرية للشاهد. ان الدماغ يجمع مختلف العناصر الحسية مثل الضجيج والصور السريعة والوسط المحيط كي يستخلص من هذا كله وفي اجزاء من الثانية ما كان قد «رآه» لكن عملية التوليف هذه يمكن بالوقت نفسه ان تكون مصدرا للخطأ.

فلنتصور لحظة ان منطادا طائرا ملوناً بالفضي والاحمر والابيض ويطير بارتفاع منخفض وبسرعة كبيرة مع ضجة هائلة في منطقة عامرة بالمنازل ولنتصور ايضا ان اغلبية القنوات التلفزيونية ووسائل الاعلام هي بالوقت نفسه بصدد عرض صور طائرة بوينغ تتحطم في منطقة من المدينة ما

هو في هذه الحالة احتمال ان يصور الشهود الذين لحظوا هذا المنطاد لكن لم يكن لديهم الزمن الكافي للتعرف على هويته بشكل دقيق بأنه صورة «البوينغ» التي يعرفونها جيدا؟ من الصعب تقدير الامر لكن لاشك بأن مثل هذا الاحتمال وارد جدا.

شهود شافوا الكثير

ان المحققين يجمعون في اغلبية الحالات شهادات متنافرة بحيث يتعين عليهم ان يقدروا مصداقيتها حالة بعد الاخر ولنأخذ في حالة الاعتداء على البنتاغون مثال ستيف ريسكوس الذي ذكرت الصحافة شهادته كثيرا لقد كان مثل العديد من الناس على الطريق الواسع «السريع» الذي يحاذي البنتاغون وكان السير متوقفا تقريبا على حد قوله بسبب ازدحام السيارات كان اذن في حالة قيادة اي ان انتباهه موجه للطريق وليس نحو السماء كما انه حدد قوله لوكالة «ديجيبرس» بأنه كان بصدد الاستماع الى الراديو الذي كان يبث اخبارا عن مركز التجارة الدولي في اللحظة التي رأى فيها طائرة «بوينغ» تمر امام ناظريه. وتدل عملية اعادة صياغة ما جرى التي قامت بها فاليري لابروس، من وكالة «ديجيبرس» على ان الآلة الطائرة قد اجتازت المجال السعري ليستقر رميسكوس خلال فترة تقل عن ثانيتين.

وقد كانت على بعد مئة متر امامه، كما كانت سرعتها تقارب خمسمئة كيلو متر في الساعة. وبالتالي فإنه من المستحيل مادياً ان يكون هذا الشاهد قد استطاع، وخلال ذلك الزمن القصير ــ اقل من ثانيتين ــ وفي الاوضاع المعروضة اعلاه، ان يميز التفاصيل التي يسوقها اليوم في شهادته التي تنشرها مجلة «باري ماتش» بتاريخ ١١ ابريل ٢٠٠٢ وجاء فيها: «كنت اسير على الطريق السريع وكان مبنى البنتاغون على يساري.

لقد هوت الطائرة مواجهة اليمين وارتطمت بمصباحين.. وكان خوفي كبيراً إلى درجة انني خفضت رأسي داخل السيارة. كانت قريبة مني إلى درجة انني رأيت بوضوح الازرق والاحمر لطائرات «اميركان ايرلاين». ان مثل هذه الدقة في الوصف تشابه إلى حد ما كما لو انه شاهد قطاراً سريعاً «تي. جي.في» يمر امام ناظريه واستطاع ان يرى بدقة العربة ــ المطعم.. وهو يخفض رأسه.

ولنأخذ شهادة اخرى نشرتها صحيفة «لوموند» ادلى بها دافيد وينسلو، الصحافي بوكالة «اسوشيتدبرس» والقاطن في بناية من عشرة طوابق بالقرب من مبنى «البنتاغون».. وقد جاء في هذه الشهادة: «كنت في عطلة من العمل ذلك اليوم. وكنت اشاهد على شاشة التلفزيون صور الاعتداءات على مركز التجارة الدولي في نيويورك.

في ذلك اليوم وحوالي الساعة التاسعة والنصف، سمعت هديراً قوياً لمحركات طائرة ــ ان اخي طيار وكذلك احد اقرب اصدقائي، واعرف جيداً هذا الهدير ــ واقترب ذلك الهدير اكثر فأكثر فأدرت رأسي نحو اليمين حيث رأيت من النافذة ذيل طائرة ضخم لطائرة تعبر بسرعة هائلة، وحيث ميزت شارة حمراء ثم تحطمت على البنتاغون لترتفع كتلة من النيران، أنا صحافي منذ عدة سنوات واقسم على حياتي انها كانت طائرة».

ان الصحفي هيرثي كيمن الذي يعمل في صحيفة «لوموند» اعطى اهمية كبيرة لهذه الشهادة على الرغم من محدوديتها لماذا؟ لقد علل ذلك بثلاثة اسباب: «اولاً لانه ــ اي الشاهد ــ كان صحافياً عاماً في وكالة الاسوشيتدبرس حيث الدقة مطلوبة جداً. وثانياً لانه لم يكن يعمل في ميدان القضايا العسكرية. وثالثاً لان تجربته الحياتية كانت قريبة من الطائرات». ثم اضاف: «لقد كان بصدد مشاهدة صور مركز التجارة الدولي وبالتالي كان مهيئاً بسيكولوجياً ليشاهد ما كان سيشاهده». وهنا تحديداً تكمن المشكلة.

تشبيهات عاصفة

هناك شاهدان هما مايك وولتر وجويل سشرمان يذهبان في اقوالهما إلى ابعد مما يريدان قوله. انهما يعملان في صحيفة «يو.اس.اي.توداي». وقد كانت كل من جهته شاهدين على عملية الاعتداء. وقد استخدم كلاهما ايضاً التشبيه نفسه وهو ان تلك الطائرة لم تكن تتصرف كطائرة وانما كصاروخ.

يقول جويل سشرمان انه رأى الطائرة من سيارته وهي تمر على بعد اقل من ٧٥ مترا امامه .. وذلك قبل ان تتحطم بعد مئة متر على البنتاغون، واذا قدرنا، كما جاء في الرواية الرسمية نفسها، بأن الطائرة كانت تطير بسرعة تزيد على ٣٠٠ عقدة اي ما لايقل عن ٥٤٠ كيلو مترا في الساعة، فان هذا يعني بأنها اجتازت المسافة التي دل عليها الشاهد بزمن لايزيد على ٧٥% ثانية في اعلى الاحتمالات .. وهذا ربما يكون زمناً قليلاً من اجل ان يلحظ «دائرة فضية اللون مع شارات على طولها دفعتني الى القول بأن الامر يتعلق بطائرة تابعة لشركة الخطوط المدنية الاميركية ــ اميركان ايرلاين ــ ثم يضيف بالنسبة لخط سير الطائرة: «ان ذلك الذي كان يقود الطائرة لم يقم بأية مناورة من اجل ان يغير توجهها كان ينطلق بسرعة عالية، ولكن ليس بزاوية منحدرة ــ تقريبا مثل صاروخ تتم قيادته الكترونيا ويذهب نحو هدفه ولا يغير من خط مساره».

كذلك كان مايك والتر على الطريق السريع في تلك الساعة المزدحمة بالسيارات.. وشاهد وهو ينظر من النافذة «طائرة، طائرة من طائرات شركة اميركان ايرلاين» قلت لنفسي هذا غير معقول، اذ كانت تطير على ارتفاع منخفض جدا بالفعل ولقد رأيتها اريد ان اقول كانت مثل صاروخ بجناحين» وعندما سألته وكالة «ديجيبرس» عن شهادته خلال شهر مارس من ٢٠٠٢ اشار مايك والتر الى انه

تحدث على وجه التشبيه وهذا امر غير مشكوك فيه ولكن يبقى اختيار التشبيه مزيدا لاسيما وان المسألة بالنسبة له هي مسألة مبدئية، اذ لا يمكن ان يتعلق الامر بصاروخ، ذلك لانه لا يستطيع تصور امكانية وجود مؤامرة او وجود أية مسئولية تقع على عاتق قيادة الاركان او الحكومة الاميركية في اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١».

وبعد ان كان مايك والتر قد قدم تصريحات اولى لقناة «سي. ان. ان» الاخبارية، اعطى فيما بعد روايتين جديدتين حول ارتطام الطائرة بالبنتاغون فبتاريخ ٢١ مارس ٢٠٠٢. قال على شاشة المحطة التلفزيونية، الـــ « سي. بي» بأن الطائرة قد «انطوت على نفسها مثل الكورديون» على واجهة البنتاغون وبعد عدة ايام صرح لوكالة «ديجيبرس» بأن طائرة البوينغ قد تابع طريقها داخل البنتاغون لكن الجناحين لم يدخلا المبنى وحيث ان هذا الصحافي يؤكد بأنهما قد طويا بأن الطائرة قد تناثرت ولكنه استطاع ان يرى عدة قطع من حطامها.

هذه التصريحات مثيرة للتساؤل بالعلاقة مع الشهادات الاخرى التي تم جمعها، ان مايك والتر هو في الواقع الشاهد الوحيد الذي روى تفاصيل لحظة ارتطام الجسد الطائر مع واجهة البنتاغون، اما الشهود الآخرون فانهم يفصلون بين واقعتين، فمن جهة كان هناك الطائرة التي رأوها وسمعوها، ومن جهة ثانية كانت هناك الانفجار.

تناقضت الشهادات بين عدة شهود رووا كيف انهم قد شاهدوا طائرة بوينغ تابعة لشركة اميركان ايرلاين، وشهود آخرين وصفوا مع ذلك خط طيران وضجة لا يمكن ان يكونا لمثل هذا النموذج من الطائرات.

هكذا اكد عديدون انهم قد سمعوا ضجة تصم الآذان مثل عمر كامبو الذي كان يشذب العشب في الجانب الآخر من الطريق وتحدث عن طائرة تابعة لشركة اميركان ايرلاين تمر مع هدير هائل فوق رأسه وهنا لابد من ان نتذكر باترسون وهو يتحدث عن طائرة تحدث ضجة هائلة لطائرة مقاتلة وكذلك نتذكر «توم سيبريت» وهو يتحدث عن هدير صاروخ.. كذلك تحدث كل من جويل سشرمان وفودرك هاجوس عن صوت هادر.

اما جيمس ريان البالغ من العمر ٢٧ سنة فإنه يقدم رؤية اكثر دقة ويذكر تفصيلا مهما، حيث يقول انه عندما كانت الطائرة تمر فوقه سمع ضجة غريبة اعتقد انها ضجة انقطاع مفاجيء لمحركات فرفع عند ذلك عينيه وتأمل على ارتفاع منخفض جداً طائرة حدد هويتها مباشرة كما يقول كطائرة بوينغ تابعة لشركة «اميركان ايرلاين» ويحدد القول بأنه رأي شارة الشركة عليها وبأن الطائرة كانت فضية اللون بل وفير كوات نوافذ الطائرة.. كانت الطائرة تطير فوق سيارته.

ورآها في تلك اللحظة وهي تهز جناحيها وكما لو انها قد تجنبت للتو برج الاذاعة وتحاول ان تثبت مسارها في تلك اللحظة سارعت الطائرة من تقدمها محدثة صوتا هائلاً وانقضت مباشرة الى الامام باتجاه الجناح الغربي من مبنى البنتاغون.

ان اهتزاز ـ ترنح ـ الجناحين اكده شهود عديدون وحتى لو كانت تفسيراتهم لذلك تختلف وتتباين فادفورك هاجوس مثلا يقول ان الطائرة كانت تميل بجناحيها من اعلى الى اسفل وكما لو انها كانت تريد ان تستعيد توازنها كذلك يؤكد ايدان كينزلدركلي بأن الطائرة كانت تترنح قليلاً قبل الصدمة ومارك برايت عنصر الامن في البنتاغون سمع هو الآخر مثل جيمس ريان تسارع محرك الطائرة قبل ان تصدم المبنى مباشرة. وعند طلب آراء بعض طياري طائرات بوينغ ٧٧٧ و٧٦٧ اجمعوا كلهم على ان التوصيفات التي قدمها الشهود غريبة، فمثلا يمكن لطائرة بوينغ ان تنوس على محور جناحيها من اجل توقيف خط طيرانها لكن من المستحيل ان تكون عملية التذبذب هذه سريعة لاسيما وان البوينغ ٧٥٧ هي طائرة ثقيلة نسبياً كما انه من الصعب تصور ان تميل الطائرة بجناحيها من اعلى الى اسفل كما جاء في شهادة افودرك هاجوس وبالطريقة نفسها من الممكن تخفيض الغازات المنطلقة من المحركات الى حد كبير من اجل بلوغ اقصى سرعة مما يمكن ان يعطي الوهم بأنه قد تم توقيف المحرك ثم تسارع الطيران، وهذه مناورة تتطلب عشر ثوان كانت اكثر بكثير من الوقت الذي امتلكه جيمس ريان لرؤية الطائرة وهي تمر، ثم انه وفي جميع الحالات تخص هذه الشهادات ضجة ومسار طيران يتناظران ايضا بشكل كامل مع الطريق التي ينطلق فيها صاروخ في المرحلة الاخيرة من طيرانه، وقبيل ان يضرب الهدف الموجه له. ان التفحص الدقيق للشهادات والتناقض فيها يسمح الوصول الى نتيجة مؤادها ان عملية الاعتداء على البنتاغون قد تم القيام بها بواسطة آلة طائرة، وهذا يسمح ايضا باستبعاد فرضيات ان يكون الانفجار قد وضع بواسطة سيارة مفخخة او بواسطة طائرة عمودية ـ هليوكبتر ـ ومع ذلك تبقى طبيعة الآلة التي صدمت البنتاغون بحاجة الى نقاش كبير.. الشهادات لا تسمح في الواقع بحسم الامر عما اذا كان الامر يتعلق بطائرة او بصاروخ او ان تؤكد بأن الامر يتعلق بطائرة تابعة للخطوط الجوية الاميركية «اميركان ايرلاين» كانت تقوم بالرحلة رقم ٧٧.. ومن هنا ينبغي مناقشة فرضية الصاروخ على اساس العناصر المادية المتوفرة.

كتاب ـ بنتاجيت ـ الحلقة الثالثة ـ تأليف: تييري ميسان

عرض ومناقشة: د. محمد مخلوف

ما هو مصدره بالضبط؟، الأدلة تؤكد إصابة البنتاغون بصاروخ وليس بطائرة

بعد الهجوم على البنتاغون مباشرة، صرح دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي، كما نقلت عنه «النيويورك تايمز» بأن الطائرة قد «تحطمت على الواجهة الخارجية للمبنى بين الطابق الأرضي

والطابق الأول وبكل قوتها» وقد اخترقت ثلاثاً من أصل الحلقات الدائرية الخمس للمبنى. هذا وقد دلت الصور الموزعة عن الحادث على ان المتفجرة قد سببت فتحة في الواجهة قطرها عدة أمتار.

وانها ولجت الى الداخل من دون ان تمس الأرض التي تبدو بدون أية أضرار، ثم خرجت من الجهة الأخرى مخلفة ثقباً دائرياً تماماً قطره حوالي ٢٣ متر.

السؤال هو: ماهي بالضبط تلك الآلية التي سببت الخسائر المشار إليها؟ وهل هي طائرة بوينغ ٧٥٧ ــ ٢٠٠ ام صاروخ؟

لقد صدمت الآلية الواجهة الغربية للبنتاغون حيث يوجد مطار هبوط طائرات الهيلوكبتر، وبعد نصف ساعة انهارت تلك الواجهة بعرض ١٨ مترا تقريبا وشب حريق في هذا الجناح كله من المبنى، كانت الخسائر كبيرة وزادت بفعل قوة المياه التي تم استخدامها في عمليات الاطفاء، على اي حال، اتخذت السلطات قرار هدم المبنى بالكامل واعادة بنائه من جديد.

ان الصورة التي تم التقاطها في الدقائق الاولى بعد الانفجار من قبل كوربورال جازون انجرسول من عناصر بحرية الولايات المتحدة الاميركية تبدي الواجهة قبل انهيارها ونقطة ارتطام الآلية المستخدمة للتفجير بها. ومن خلال عمليات القياس المختلفة يمكن القول بأنه ينبغي ان يكون قطر الآلية المعنية اقل من خمسة او ستة امتار وهذا يمكن ان يتناظر مع جسد طائرة بوينغ ٧٥٧ ــ ٢٠٠ التي يبلغ قطرها ٣٥ أمتار. لكن هذه الطائرة لها جناحان تصل بهما الى ٣٨ متراً .. ويوجد على هذين الجناحين محركان يشكلان اكثر المكونات صلابة في الطائرة وللطائرة ايضا ذيل طويل، وفي حالة عدم استخدام آلة الهبوط يصبح ارتفاع الطائرة اكثر من ١٢ متراً بقليل. ان الصورة المشار اليها تبين ان الجدار الموجود مباشرة فوق مكان الصدمة سليم، وهذا يعني انه لم يصطدم بذيل طائرة البوينغ ٧٥٧ ــ ٢٠٠.

اما الصورة التي تبين الفتحة الخلفية التي خرجت منها الآلية المستخدمة ــ او ما تبقى منها ــ فإن وزارة الدفاع هي التي التقطتها وقد جاء في التعليق عليها من قبل موقع «نافي» بانها الفتحة التي تدل على المكان الذي انتهت اليه رحلة شركة اميركان ايرلاين ذات الرقم ٧٧ داخل البنتاغون، هذه الفتحة هي دائرية تماما ويبلغ قطرها حوالي ٢٣٠ متر وحيث قالت الرواية الرسمية بأن هذه الفتحة الدائرية تعود الى مقدمة طائرة البوينغ ٧٥٧ ــ ٢٠٠، وقد جاء عدة خبراء ليقدموا شروحاتهم لهذه الرواية الرسمية.

لكن مقدمة الطائرة مصنوعة من خيوط الكربون المقواة وليس من المعدن لانها تحتوي على نظام الملاحة الالكترونية وبالتالي ينبغي تأمين الشروط التي تسمح بنقل التذبذبات الصادرة عن الاجهزة

المختلفة، وبالتالي لا يمكن ان تكون هذه المقدمة مصممة من اجل ان تقاوم الصدمات بل ان الغلاف الخارجي وما هو موجود في داخله مصنوع من مواد هشة جدا وامام اي حاجز صلب لابد وأن يتهشم لا ان يثقب. هذا ما تثبته ايضا مقدمات الطائرات المهشمة في حوادث طيران كثيرة اقل عنفا من حادث البنتاغون وبالتالي من الصعب جدا ان تحدث مقدمة طائرة فتحة دائرية مثل تلك الظاهرة في الصور التي التقطتها وزارة الدفاع.

مع ذلك يؤكد رجال الاطفاء انهم قد رأوا ما اعتقدوا انه مقدمة طائرة وتجدر الاشارة ايضا الى ان ما جرى كان عملية «اختراق» ثلاثة ابنية متتالية وليس عملية «هدم» ثم ان الخسائر الناجمة عن الصدمة لا تشبه ابدا تلك الناجمة عادة عن سقوط طائرة، والالية التي ضربت مبنى وزارة الدفاع الاميركية قد احدثت اثرا «خاصا جدا».

تجدر الاشارة هنا الى ان بعض الصواريخ قد جرى تصميمها من اجل ان تكون ذات اثر كبير على صعيد الاختراق، مثل تلك التي يتم استخدامها من اجل «اختراق» الملاجيء.

ما هي طبيعة الانفجار؟

على مثل هذا السؤال الدقيق يرد بيير هنري بونيل، خريج كلية «سان سير» الفرنسية الشهيرة، وضابط المدفعية السابق ذو الخبرات المعترف بها في ميادين آثار المتفجرات على البشر وعلى الابنية، وآثار اسلحة المدفعية ومكافحة الحرائق الناتجة عن تحطم طائرة مثلا: كما كان قد شارك في حرب الخليج الى جانب الجنرالين «شوارزكوف وروكجيفر».

في مقدمة تحليله يطرح بيير هنري بونيل العديد من الاسئلة عما اذا كان الانفجار الحاصل يتناظر مع انفجار يسببه وقود طائرة ام انه بالاحرى جاء نتيجة استخدام متفجر حقيقي؟ وهل يتناظر الحريق مع حريق يسببه وقود طائرة ام عملية احتراق كلاسيكية؟ ان هذا الخبير يجيب عن مثل هذه الاسئلة على مدى اكثر من عشر صفحات في هذا الكتاب.

ان عملية احتراق المواد المتفجرة الكيميائية او البارود او المتفجرات او النفط ومشتقاته ـــ الهيدروكربورات تطلق طاقة مولدة وفي الوقت نفسه ذبذبات، وعملية انتشار كمية كبيرة من الغاز بسرعة كبيرة تترافق مع اشعال شرارة وضجيج يسببه انتقال الذبذبات في الجو كما يتم غالبا، وقبل رؤية الشرارة، ملاحظة وجود غيمة من البخار سببها ضغط الهواء الذي يحيط بمنطقة الانفجار.

ان أي انفجار هو بمثابة تفاعل يطلق غازات بسرعة كبيرة الى هذا الحد او ذاك. والمواد المتفجرة تحدد من حيث طبيعتها سرعة الغازات المنطلقة منها ومدى تأثير «موجة الصدمة». ثم ان المتفجرات التي تنتج موجات (ذبذبات) تفوق سرعة انتشارها العشرة آلاف متر بالثانية يقال بأنها «تصعق» اما

المتفجرات التي تقل سرعة انتشارها عن عشرة آلاف متر فيقال بأنها «تفجر»، مثل البارود والمواد البترولية ــ الهيدروكربورات.

وفي حالة المحرك الانفجاري ــ مثل محرك طائرات البوينغ ٧٥٧ ــ فان الوقود المضغوط «يفجر» ولا «يصعق» ولو كان «يصعق» فانه ما كان لبنية المحرك ان تستطيع المقاومة. ثم ان وقود طائرة مدنية تتحطم انما يحترق، ولا يؤدي عامة حتى الى انفجار، الا في حالات استثنائية وفي نقاط محددة من المحرك. وفي حالة طائرة الايرباص التي سقطت على حي كوينز في نيويورك خلال شهر نوفمر ٢٠٠١ لم تنفجر المحركات عند الاصطدام بالارض. ووقود الطائرات هو سائل يشبه «الغازول» ــ المازوت ــ وتجري تنقيته ثلاث مرات من اجل تأمين الشروط المطلوبة لمروره في «بخاخات» المحركات .. اي لا يمكن اعتباره بأية حالة كـــ «متفجر».

وتختلف التفجيرات، ايضا تبعا للألوان الناجمة عنها، فاذا كان الانفجار ناجماً من الجو وبدون ارتطام بأي حاجز فإن الشعلة الناجمة تكون غالبا بلون اصفر شاحب في منطقة الصدمة وكلما تم الابتعاد عنها يصبح اللون يميل نحو البرتقالي ثم نحو الاحمر، لكن عندما يتم الارتطام بحاجز مثل جدران بناية فإنه لا تتم عمليا رؤية اللون الاصفر اذ تكون مدة استمرار وهيج هذا اللون قصيرة جدا، ولا يظهر الدخان الا عندما يبدأ الغبار الناجم عن الصدمة بالاحتراق .. ويكون هذا الدخان ناجما عن حريق ليس فيه سوى نقاط تتشابه قليلة مع الغيوم السوداء والثقيلة لنيران المواد البترولية.

يبقى من المطلوب في كل الحالات ان يتم الانفجار، بواسطة اي سلاح، في اللحظة المطلوبة، وهذا ينبغي ان يخضع لمعايير دقيقة بحيث ان لا يتم الانفجار عند أية صدمة، كما ان عملية الشروع بـــ «التفاعل الكيميائي» تتطلب تعريض المتفجرة نفسها لصدمة عن طريق متفجر أكثر حساسية وأقل قوة وهو ما يسمى بـــ «الصاعق» حيث ان الشحنة المتفجرة للصاعق تنفجر نتيجة صدمة او شرارة او عامل كهربائي او الكتروني كي يتم بعد ذلك انفجار الشحنة الاصلية.

ان المنظومة التي تتحكم بانفجار الصاعق تسمى منظومة اطلاق النار. وهناك عدة آليات لعمل مثل هذه المنظومة، وتتم في هذا الاطار دراسة نموذجين كان يمكن استخدامهما في الاعتداء على مبنى البنتاغون، المنظومة الاولى تخص التفجير بواسطة من يقوم بالعملية؟ وهناك ايضا منظومات التفجير الموقوتة لزمن قصير جدا.

ان القنابل والصواريخ مزودة بصاعق يتم تثبيته عند التصنيع او عند التحضير للاطلاق بحيث يتم توفير نظام امان يمنع اي انفجار قبل اللحظة المطلوبة.

ويوجد بالنسبة لبعض التعزيزات الصلبة ــ ذات المقاومة الكبيرة ــ تحمل بعض الاسلحة عدة عبوات بحيث تكون مهمة الاولى منها هي اختراق الاسمنت المسلح كي تسبر العبوة او العبوات التي فيه نحو الداخل وتتفجر هناك، والعبوات المستخدمة عامة ضد الاسمنت هي عبوات صاعقة ــ خارقة ــ وأثناء حرب الخليج استطاعت الصواريخ اوالقنابل الموجهة الكترونيا ضد الملاجيء الاسمنتية ان تخترق تلك التي اصابتها منها وخاصة في قلعة السلمان والنوع نفسه من القنابل يمكن ان يخترق ثلاثة جدران من الاسمنت المسلح اذا اصابت اولا الاكثر سماكة منها، اي الجدار الخارجي.

لكن القيام بمثل هذه الهجمات يتطلب وجود مصدر اطلاق، مثل منصة رمي او غيرها .. ويتمثل هذا المصدر في حالة القنابل الموجهة بطائرة او على ابسط تقدير بطائرة هليوكبتر وفي هذه الحالة ينطلق السلاح المستخدم بسرعة اولية هي سرعة الآلية التي تحمله كي يتم توجيهه الكترونيا و «بالليزر» عامة، وفي حالة استخدام صاروخ يكون مدى الرمي اطول لانه مزود نفسه بمحرك.

تلك هي الخطوط العريضة للمواصفات التقنية الخاصة بالمتفجرات والانفجارات .. فكيف يمكن استخدامها من اجل فهم ما جرى بالنسبة لتفجير مبنى وزارة الدفاع الاميركية.

أسرار حالة البنتاغون

بتاريخ ٨ مارس ٢٠٠٢، اي بعد شهر من بداية الجدل الذي عرفته شبكات الانترنت، وقبل ثلاثة ايام من صدور كتاب «التزييف المخيف» تمّ بث خمس صور جديدة حول الاعتداء كانت محطة «سي. ان. ان» التلفزيونية وراء عملية البث تلك لكن وكالة مصورة قامت بعد ذلك بتوزيعها على نطاق واسع في صحف عديدة بمختلف مناطق العالم، وربما انه ما كان للبنتاغون ان يقوم بنشر هذه الصور التي التقطتها عدسة حراسة، فقد اكتفى بالتأكيد على انها صحيحة، وتبدي هذه الصور انتشار النار عند الصدمة على واجهة مبنى البنتاغون.

تبدو على الصورة الأولى حزمة بيضاء من الدخان، وهي تذكر كثيرا بعملية تبخر المياه التي يحتويها الهواء المحيط لحظة بداية انتشار موجة صدمة ما فوق صوتية لمادة صاعقة في الجو، مع ذلك يمكن ان تلحظ آثار الشعلة الحمراء المرتبطة بدرجات الحرارة الكبرى التي وصل اليها الهواء بسبب موجة صدمة سريعة، ويدفع الدخان الابيض المنبعث من قطعة على الارض، يمكن الاعتقاد وكثيرا بأنها من المحرك الدافع للآلية الطائرة المستخدمة، الى القول بأنه لو كان الامر يتعلق بمحركات طائرة بوينغ لكان الدخان اكثر سوادا بسبب استخدامها لمادة «الكيروسين» بل وان مجرد تفحص الصورة يدفع للاعتقاد بأن الامر يتعلق بآلية طائرة ذات محرك واحد واصغر بكثير من طائرة خطوط نقل جوي مدني.

على الصورة الثانية يمكن دائما ملاحظة الخط الافقي الابيض من الدخان على الارض الى جانب زيادة واضحة في حجم الشعلة الحمراء، ومن المهم جدا مقارنة هذه الصورة الخاصة بآثار الانفجار في البنتاغون مع الصورة الخاصة بالبرج الثاني لمركز التجارة العالمي في نيويورك، ان اللون الاصفر في هذه الصورة الاخيرة يدل على حرارة اقل للاحتراق حيث يختلط الدخان الاسود والثقيل كما هي الحالة عند احتراق الكيروسين الذي تستخدمه طائرات البوينغ.

الصور الثلاث الاخرى التي بثتها محطة «سي. ان. ان» للمرة الاولى تم التقاطها بعد فترة قصيرة من الانفجار وحيث لم يكن رجال الاطفاء قد بدأوا عملهم في محاولة اخماد النيران، ويبدو في احد هذه الصور بأن شعلة الانفجار قد انطفأت .. ولم تعد بادية الا من على مستوى نقطة الصدمة، ان الامر لا يتعلق اذن بحريق مصدره طائرة خطوط جوية مدنية لانه ما كان للكيروسين ان يخمد بهذه السرعة، والمواجهة لم تكن قد انهارت بعد ولا يبدو فيها اثار تهديم كبير، وتدل الصورتان الباقيتان التي يقول الشخص الذي التقطها بانه قد فعل ذلك بعد دقيقة من الانفجار، على ان الحريق داخل المبنى كان قد اخذ بالاتساع . ويبدو ان هناك فتحة في الواجهة تسمح بملاحظة ان بؤرة النار هي بصدد الانتشار. لم تكن المواجهة قد انهارت بعد بينما كانت بؤر النيران تتواصل فيما بينها لتشكل حريقا واحدا، ولكن دون ان تمثل ابدا مظهر دخان ناجم عن حريق طائرة خطوط نقل جوي تحمل خزاناتها الكيروسين.

ان مجرد تفحص هذه الصور، التي رآها الجميع على صفحات الجرائد يسمح بقياس مدى الاختلافات بين الانفجارين، فاذا كانت غيوم الدخان المتصاعدة من برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك تدل على انها صادرة عن احتراق «كيروسين» طائرة فإنه يبدو جيدا بأن الأمر ليس كذلك بالنسبة لحريق البنتاغون، والالية الطائرة التي ضربت مبنى وزارة الدفاع الاميركية لا علاقة لها، كما يبدو للوهلة الاولى، مع طائرة الخطوط التي ذكرتها الرواية الرسمية لكن ينبغي متابعة الدراسة للبحث عن العناصر التي قد تسمح بتحديد طبيعة الانفجار الذي شب في البنتاغون.

عندما بدأ رجال الاطفاء باخماد النيران بدا واضحا بانهم يستخدمون المياه، هذا مايبدو من خلال مجموعة صور رسمية تظهر فيها شاحنات صهاريج «مخصصة لاطفاء النيران، ويبدو ان المياه المستخدمة تخرج من فوهات الخراطيم بلون ابيض ــ اي انه لم يتم استخدام تلك المادة التي يتم استخدامها في حالة التصدي لبعض الحرائق والتي تسمى بـــ «عمل تأخير» والتي بدورها تجعل لون المياه مائلا الى الحمرة او الى السمرة، هذا يعني ان النار الرئيسية التي يتم التصدي لها ليست نيراناً ناجمة عن مواد بترولية هيروكربورات، اذ لا نرى خراطيم تطلق رغدة يتم استخدامها في حالة الحرائق الناجمة عن تحطم طائرات كما أننا لا نرى ادوات القاء مواد مستخدمة في مثل هذه الحالات على الحريق.

مع ذلك تبين احدى الصور وجود بقايا رغوة «كربونية» الأمر الذي فسره بعض شهود ١١ سبتمبر بأنه كانت توجد شاحنة كما قال البعض، وطائرة عمودية ــ هيلوكبتر ــ حسب اقوال آخرين، قد انفجرت حيث كانت واقفة بالقرب من مبنى البنتاغون عند الواجهة، وبكل الحالات يلاحظ وجود شاحنة تحترق على عدة صور على يمين مكان الصدمة .. وكمية الرغوة المستخدمة قليلة بالمقابل وهي متواجدة على العشب امام المبنى وليس على مكان الحريق نفسه وكأنه قد أريد منها اطفاء حريق قد اشعله الانفجار، وبشكل عام لا يمكن ابدا اجراء أية مقارنة «مماثلة» بين حريق البنتاغون وبين الحريق الذي عرفه برجا مركز التجارة الدولي في نيويورك.

بعد ان قدم بيير هنري بونيل تعليقاته كــ «رجل اطفاء سابق»، ينطلق في عرض وجهة نظره كــ «ضابط مدفعية سابق»، وذلك عبر تقويم محطة التدمير الذي سببته الاسلحة المستخدمة اي تقويم خسائر ساحة المعركة حسب اللغة العسكرية وحيث ينبغي التحلي بأكبر قدر ممكن من الموضوعية في التقييم اذ من الغباء طلب استئناف القصف على موقع قد تم تدميره تماما او التفكير بأن موقعا ما لم يعد قادرا على الاذى بينما لا يزال يمثل تهديدا في واقع الامر.

ويشير هنري بونيل في هذا الاطار الى ان مقر قيادة اركان الجيوش أثناء حرب الخليج كان يشهد يوميا اجتماعا يضم الجنرال شوارزكوف والقائدين الفرنسي والبريطاني لتقييم الصور الخاصة بنتائج القصف .. وكان شوارزكوف يولي اهمية خاصة لهذا الامر الذي يبين آثار السلاح ومدى الخسائر التي تتكبدها الاهداف.

لم يكن الجنرالات الثلاثة يفعلون ذلك بدافع رغبة مراقبة الآخرين» وانما لانه كان يسمح لهم بمعرفة اذا كان ينبغي متابعة القصف على الاهداف او استخدام اسلحة اقل قوة لتجنب ان يطال الدمار المحيط المدني . وعندما تجتمع النظرية والخبرة «كما هو الحال بالنسبة لي» كما يقول بيير هنري بونيل: فإنه يمكن بعملية تقييم موضوعية للخسائر التي يتكبدها مبنى، لا سيما اذا كان الشخص الذي يقوم بالتقييم يعرف ذلك المبنى بدرجة كافية، كما هو الحال بالنسبة لي ايضا كما يضيف بونيل.

الصور وما تكشفه

من المهم جدا القاء نظرة على الواجهة كما قدمتها صور الهيئات الرسمية الاميركية.

في الوقت الذي كان رجال الاطفاء قد اتموا عملهم على خارج المبنى يمكن تمييز عدة معطيات ذات قيمة، اولا ان البقايا الظاهرة على واجهة مبنى البنتاغون تدل على انها مزيج مما يتبقى اثر حريق كلاسيكي ومن حريق ناتج عن متفجر ذي كفاءة عالية، ولكن ليس هناك ما يدل على وجود طبقة دهنية وسميكة تبقى بعد حريق ناتج عن مادة الكيروسين. والزجاج قد تحطم بسبب انفجار صاعق ولم

يذب بسبب حريق للهيدروكربوهيدرات كان ممكنا ان يستمر عدة أيام. ومن الملاحظ ان مختلف الزجاج المحطم كان يخص النوافذ الغربية مباشرة من مركز الانفجار وعلى مستوى الطوابق السفلى. وقد يكون من المحتمل جداً ان موجة الصدمة قد انتشرت على طول الاروقة، وهذا يتناظر مع شهادة دافيد نيال ضابط الارتباط في البنتاغون الذي تحدث عن ضجة عنيفة مفاجئة ترافقت مع حطام خرّب الرواق المؤدي الى مكتبه.

وتبيّن احدى الصور ان الاعمدة العمودية المغلّف بعضها بالخشب قد تصدّعت في الطابق الأرضي، أي حيث حدث الانفجار.. لكنها لم تتحطم كما لو انها قد ضربها جناحا طائرة وزنها مئة طن. ويبدو ان أي جناح لم يصطدم بهذه الأعمدة العمودية المصنوعة من الاسمنت المسلح. كما ان موقع الصدمة التي تلقتها الاعمدة ينبغي ان يكون، حسب الرواية الرسمية، قريباً من السقف، لكن يبدو بوضوح ان المنطقة التي تلقت الصدمة تقع أسفل ذلك.. أي أقل علواً مما كان ينبغي لو كانت الآلية التي صدمت مبنى وزارة الدفاع هي طائرة خطوط نقل جوي ضخمة. وتبقى صورة الفتحة، أو «الكوّة» الخلفية التي خرجت منها مقدمة الطائرة، حسب الرواية الرسمية.

هذه الفتحة هي دائرية تقريباً يعلوها أثر أسود اللون وقطرها ٢٣٠ متر وتقع في جدار الصف الثالث للمبنى انطلاقا من الواجهة. لكن مقدمة الطائرة مصنوعة من ألياف الكربون وليست مدرّعة ومع ذلك اخترقت ستة جدران تحمل مبنى صلباً ومقاوماً بالاحرى.إن مشهد ثقب الجدار يذكّر قطعاً بآثار العبوات المكرّسة لاختراق الحواجز الاسمنتية «التى كنت قد رأيتها فى عدد من ساحات المعارك»، كما يقول بيير هنري بونيل والذي يخلص بنتيجة تحليله الى القول بأن الصورة المعنية والنتائج التى تحدثت عنها الرؤية الرسمية الاميركية، يقودانه الى الاعتقاد الى ان الانفجار الصاعق الذي ضرب مبنى البنتاغون، إنما كان نتيجة فعل «صاروخ».

كتاب ــ بنتاجيت ــ الحلقة الرابعة ــ تأليف: تييري ميسان

عرض ومناقشة: د. محمد مخلوف

لغز الطائرة التي اختفت، هل كان البيت الأبيض مستهدفاً خلال أحداث ١١ سبتمبر؟

بتاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وحوالي الساعة الثامنة وخمس وخمسين دقيقة اختفت طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية الاميركية «أميركان ايرلاينز» وعلى متنها أربعةوستون راكباً بعد اثنتين وأربعين دقيقة، وعند الساعة التاسعة وسبع وثلاثين دقيقة تم ضرب مقر وزارة الدفاع الأميركية بآلية طائرة. وفي اليوم نفسه قيل ان الحدثين مرتبطان، فالطائرة التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧ قد تحطمت على مبنى وزارة الدفاع الاميركية «البنتاغون».

بدت تلك الرواية للأحداث على قدر كبير من المنطق، مع ذلك وعندما يتم الرجوع الى المصادر التي كانت وراء مختلف «المعلومات» الموزعة حول الحدثين يمكن للمرء ان يلاحظ انه لا توجد أية وسيلة تسمح الربط بشكل قاطع بينهما.

في الواقع وعندما يتم التقصي عن مصدر الاخبار المتوفرة كلها، فإن المرء لابد وأن يصل الى مصدر وحيد هو «العسكر».

طائرة تتبخر

إن المعلومات الخاصة بخطف طائرة تابعة لشركة «أميركان ايرلاينز» كانت تقوم برحلة بين مطار دالاس في واشنطن ومطار لوس انجلوس لم يتم بثها سوى عند الساعة العاشرة واثنتين وثلاثين دقيقة، أي بعد ساعة من الاعتداء على البنتاغون. وكانت محطة «ايه.بي.سي» هي التي بثت الخبر. لم يخطر على بال أحد آنذاك بأن تلك الطائرة قد تحطمت على مبنى البنتاغون.. بعد عشر دقائق تم التأكيد ــ من قبل فوكس ــ بأن طائرة تابعة للقوات الجوية الاميركية قد اصطدمت بمبنى وزارة الدفاع.

وعند الساعة الحادية عشرة وثمان وثلاثين دقيقة فقط، أي بعد أكثر من ساعة على اعلان محطة «ايه.بي.سي» خبر خطف طائرة «اميركان ايرلاينز» أعلنت هذه الشركة اختفاء الطائرة التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧ بين واشنطن ولوس انجلوس والطائرة التي كانت تقوم برحلة بين بوسطن ولوس انجلوس، حيث كان على متن الطائرتين ١٥٦ راكباً. وعند الساعة الثالثة عشرة وعشر دقائق وزعت الشركة قوائم تتضمن أسماء المسافرين وطواقم الطائرتين.

وقد أشارت صحيفة «الواشنطن بوست» في عددها الصادر بتاريخ ٣ نوفمبر ٢٠٠١ الى ان المراقبين الجويين المدنيين اعتقدوا ان الطائرة التي أقلعت عند الساعة ٨٢٠ من واشنطن قد تعرضت للسقوط. فعند الساعة ٨٥٥ اجرى الطيار آخر اتصال «روتيني» مع برج المراقبة، وعند الساعة التاسعة وتسع دقائق عندما لم يستطع المراقبون الجويون في انديانا بولس الاتصال بالطائرة عن طريق الراديو أعلنوا عن امكانية ان تكون قد تعرضت للسقوط. وقد قال فيما بعد ديك تشيني نائب رئيس الولايات المتحدة الاميركية بأن الارهابيين قد «استولوا على جهاز الاستجابة للذبذبات الرادارية، لذلك تحدثت المعلومات الأولى عن طائرة سقطت في أوهايو، لكن الواقع لم يكن كذلك بالطبع».

وبتاريخ ١٢ سبتمبر، عُلم أن جهاز الاستجابة للذبذبات الرادارية انقطع عن الاستجابة عند الساعة ٨٥٥ مما جعل المراقبين الجويين المدنيين لا يستطيعون رؤيتها لاسيما وانهم لا يمتلكون رادارات

قادرة على التعرف على مكانها في تلك المنطقة، وبالتالي ربما ان الطائرة كانت قد غيّرت مسارها وعادت صوب واشنطن، التي انطلقت منها. وقد قيل عامة ان مصدر هذه المعلومة كان الوكالة المدنية للمراقبة الجوية، لكن هذه الوكالة لم تكن قادرة على معرفة ما إذا كانت الطائرة قد عكست مسارها لأنها كانت قد غدت ــ حسب تصريحات الوكالة نفسها ــ غير مرئية من قبلها بعد ان فقدت جهاز الاستجابة للذبذبات الرادارية. وبالتالي فإن «المعلومة» الخاصة بعودة الطائرة نحو واشنطن تفتقر الى أي «مصدر».

لكن لماذا قام قراصنة الجو بـــ «قطع جهاز الاستجابة للذبذبات الرادارية، كما يقال؟ ان مثل هذه العملية ليست غير مألوفة في حوادث القرصنة فحسب، ولكنها ممارسة جديدة. ذلك ان جعل هذا الجهاز لا يعمل إنما يشكل أفضل طريقة من أجل انذار الآخرين.

إن الاجراءات المتخذة في حالة حدوث أية اشكالية تخص جهاز الاستجابة للذبذبات الرادارية هي اجراءات صارمة مدنياً وعسكرياً. وقد حددت وكالة المراقبة الجوية بدقة الاجراءات التي ينبغي اتباعها في حالة تشوش الارتباط مع الجهاز المعني، إذ ينبغي في هذه الحالة ان يتصل برج المراقبة مباشرة مع قبطان الطائرة بواسطة اللاسلكي وإذا فشل في ذلك فإن عليه ان يخطر فوراً العسكريين الذين يرسلون عندها طائرات عسكرية لتأمين تواصل بصري مع طاقم الطائرة.

من جهة اخرى يؤدي مجرد توقف جهاز الاستجابة للذبذبات الرادارية الى انطلاق جرس الانذار لدى الهيئة العسكرية المكلفة بالحماية الجوية للولايات المتحدة الاميركية وكندا، أي قيادة الدفاع عن أجواء أميركا الشمالية.

إن جهاز الاستجابة للذبذبات الرادارية يشكل بطاقة هوية الطائرة. وكل طائرة غير مزوّدة بمثل هذا الجهاز تتم مراقبتها حالاً. وهذا ما يتم تفسيره رسمياً كما يلي: «إذا لم يتم التعرف على آلية طائرة في مدة أقل من دقيقتين أو بدت مثيرة للشبهة، فإنه يتم اعتبارها كمصدر تهديد محتمل. والطائرات التي لا يتم التعرف على هويتها أو الطائرات التي هي في حالة خطر أو التي تحوم حولها الشكوك باستخدامها في نشاطات غير مشروعة يحق لطائرة مقاتلة تابعة لقيادة الدفاع عن اجواء أميركا الشمالية ان تعترضها».

هذا يعني، وحسب الرواية الرسمية، ان قراصنة الجو قد أعطوا اشارة الانذار عندما «قطعوا» جهاز الاستجابة للذبذبات الرادارية، وذلك قبل أربعين دقيقة من ان يضربوا «البنتاغون». ولم يكن هناك من يستطيع ان يقدم تفسيراً للأسباب التي دعت قراصنة الجو الى تبني مثل هذه الخطة ــ التكتيك ــ المثيرة للاستغراب.

وهناك أثر آخر يمكن ان يترتب على توقف جهاز الاستجابة للذبذبات الرادارية غير قرع جرس الانذار وهو ان يجعل الطائرة غير مرئية من قبل المراقبين الجويين المدنيين. ولا يمتلك هؤلاء في بعض المناطق الرادارية المسماة «أولية» والقادرة على رصد الحركات الجوية. فالرادارات التي يستخدمونها عامة والمسماة «ثانوية» فإنها تكتفي بتسجيل الاشارات الصادرة عن أجهزة الذبذبات الرادارية في الطائرة. وتشير وكالة المراقبة الجوية الى ان المراقبين الجويين في منطقة «أوهايو» الاميركية لا يملكون الرادارات القادرة على كشف موقع الطائرات في حالة توقف اجهزة الذبذبات الرادارية في الطائرة عن العمل. ولذلك غابت تماماً عن شاشاتهم.

إذن لماذا تم «قطع» اجهزة الاستجابة للذبذبات الرادارية للطائرة؟ هل من أجل قرع جرس الانذار، أم من أجل جعل الطائرة غير مرئية من قبل المراقبين الجويين المدنيين وحدهم؟ واعتباراً من اللحظة التي «اختفت» فيها الطائرة التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧، عند حوالي الساعة ٨٥٥ تقريباً، كانت كل المعلومات الخاصة بها تأتي حصراً من مصادر عسكرية، بل ان مكتب التحقيقات الفيدرالي طلب من السلطة الجوية المدنية عدم تقديم أية معلومات تخص الطائرة.

وقد جاء في صحيفة «واشنطن بوست» بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠٠١: «حتى مساء البارحة كانت المعلومات الخاصة بمسافري الرحلة ٧٧ وساعة اقلاع الطائرة وما جرى على متنها رهن السرية التامة من قبل الشركة الجوية وسلطات المطارات وموظفي الأمن. وقد قدّم هؤلاء جميعاً تفسير صمتهم بأن مكتب التحقيقات الفيدرالي طلب منهم ألا يعطوا أي تفصيل للجمهور». من هنا كانت المعلومات التي تم الحصول عليها من مصادر مدنية قليلة جداً واقتصرت على القول بأن طائرة تابعة لشركة اميركان ايرلاينز قد أقلعت من مطار دالاس في واشنطن عند الساعة الثامنة وعشرين دقيقة قاصدة لوس انجلوس في الطرف الآخر من البلاد. وان آخر اتصال راديو مع تلك الطائرة كان عند الساعة الثامنة وخمسين دقيقة. كما ان المراقبين الجويين المدنيين قد فقدوا جميع الاتصالات مع الطائرة قبل الساعة التاسعة وتسع دقائق، أي حتى اللحظة التي أعطوا فيها الانذار باحتمال انها قد سقطت.

ما بقي من معلومات كان مصدره عسكرياً، وقد جاء فيها بأن المراقبين الجويين قد فقدوا الاتصال بواسطة الرادار مع الطائرة لأنه كان قد تم قطع جهاز الذبذبات الرادارية عند الساعة الثامنة وخمس وخمسين دقيقة. وبعيداً عن انظار هؤلاء المراقبين استدارت الطائرة وانقضّت على واشنطن (البنتاغون) بعد ساعة وسبع عشرة دقيقة من اقلاعها، وبعد أن كانت قد قطعت حوالي ألف كيلومتر.

مع ذلك لم يكن هناك ما يدل في البداية الى وجود علاقة محتملة بين الآلية الطائرة التي صدمت مبنى وزارة الدفاع الاميركية في واشنطن «البنتاغون» وبين الرحلة ٧٧ لطائرة البوينغ التابعة لشركة «اميركان ايرلاينز».

هليكوبتر أم قنبلة؟

بعد ثلاثة أرباع الساعة من ضرب برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك أصيبت العاصمة الفيدرالية واشنطن، وبدا ان اعتداء أول قد استهدف «البيت الابيض » في البناء «الملحق» به.

وعند الساعة التاسعة واثنتين واربعين دقيقة بثت القناة التلفزيونية الاميركية «ايه.بي.سي» صوراً لدخان كثيف يتصاعد من السكن الرئاسي الاميركي. ان هذه الصور السريعة التي تم نسيانها على عجل تمّ «طمسها» بعد دقيقتين عبر الاعلان عن حريق آخر في مبنى البنتاغون، وكانت المعلومات الموزعة آنذاك من قبل القنوات التلفزيونية والوكالات الصحافية ووكالات الانباء متضاربة. أشار البعض الى ان الحريق قد شب إثر انفجار سيارة مفخخة، بينما قال آخرون بخطف طائرة، كما اعتقد قسم ثالث بأن ذلك الحريق يعود الى سقوط طائرة مروحية (هليكوبتر). وقبل الساعة العاشرة بقليل صدر البيان الأول عن وزارة الدفاع الأميركية وتم فيه الحديث عن «هجوم»، ولكن دون تقديم أية معلومات دقيقة عن طبيعته.

وفي الساعات الأولى بعد الاعتداء كانت «كوندوليزا رايس» تعرف فقط ان «شيئاً ما» قد ضرب البنتاغون وبأن «شيئا ما آخر بدا وكأنه يتجه نحو البيت الأبيض». ولم يكن نائب الرئيس ديك تشيني أكثر اطلاعاً من مستشارة الأمن القومي الاميركي، إذ قال «إن التقارير الأولية الخاصة بالهجوم على مقر وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) تحدثت عن طائرة مروحية (هليكوبتر) أو عن طائرة صغيرة خاصة، كما نقلت عن «لوس انجلوس تايم».

كان دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي هو أول من تحدث عن طائرة وكان قد خرج مباشرة من مكتبه وقصد مكان الاعتداء للاطلاع على الخسائر. وتقول فيكتوريا كلارك مساعدته: «عندما عاد بعد نصف ساعة، كان أول من قال لنا بأنه كان عملياً متأكداً بأن الانفجار سببه طائرة. وكان يقيم رأيه على أساس قطع من الحطام وعلى ألوف القطع المعدنية، انه هو الذي قال لنا ذلك، وكان أول من قال لنا بأن الأمر كان يتعلق احتمالاً بطائرة».

وما يثير الغرابة هو أعلى المسئولين السياسيين مثل ديك تشيني وكوندوليزا رايس كانوا قد أقتيدوا الى ملاجيء آمنة تحت البيت الأبيض. ومقر الدفاع الاميركي قد هوجم دون ان يستطيع أحد ان يقول بماذا.. وضع مشوش وخطير، ومع ذلك يخرج وزير الدفاع شخصياً بعد الاعتداء مباشرة ليرى حجم الخسائر ويشرح بأن طائرة قد صدمت البنتاغون.

بعد ظهر يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ قام عسكريون «لم يذكروا أسماءهم» بربط انفجار البنتاغون مع الطائرة البوينغ التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧، وسرعان ما سرت هذه «المعلومة» لدى وسائل الإعلام

مثل اشاعة.. وكانت «لوس انجلوس تايم» وحدها قد حددت مصادرها وقالت بأن رسميين شرحوا للصحفيين «دون الافصاح عن هوياتهم» بأن طائرة البوينغ التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧ بين واشنطن ولوس انجلوس هي التي صدمت مبنى وزارة الدفاع الاميركية. لكن لم تصدر مثل هذه التصريحات عن أي مصدر مدني. والمراقبون الجويون المدنيون في مطار دالاس يمتلكون رادارات «أولية» يمكنها رصد حركة الطائرات، وقد صرحوا انهم رأوا فقط طائرة غير معروفة الهوية تتجه نحو العاصمة. وقد قال أحد هؤلاء المراقبين وهو «دانييل أوبريان» ما يلي: «ان السرعة وقدرة المناورة والطريقة التي انعطفت فيها، دفعت كل واحد منّا في حالة الرادارات، ونحن المراقبون المجرّبون الى الاعتقاد ان الأمر يتعلق بطائرة عسكرية».

إن هؤلاء المدنيين يؤكدون إذن انهم قد رأوا طائرة غير معروفة الهوية وتطير بسرعة وتحسن المناورة اتجهت نحو واشنطن. على العكس، لم يقولوا أبداً بأن الأمر يتعلق بطائرة بوينج ٧٥٧ ــ ٢٠٠ أو انها احدى طائرات شركة «اميركان ايرلاينز».. لقد كانوا يعتقدون بالمقابل انها كانت طائرة عسكرية. ان التعرف على هوية الطائرة قد جرى حصراً من قبل الجيش.

مع ذلك وبتاريخ ١٢ سبتمبر بدا ان مصدراً مدنياً قد جاء ليؤكد الرواية العسكرية، فلقد عُلم بأن السيدة بربارة والسون القاضية الفيدرالية السابقة ونجمة قناة «سي.ان.ان» التلفزيونية لحظة التحضير لعزل بيل كلينتون ــ بسبب مونيكا لوينسكي ــ كانت في عداد ركاب الطائرة، وقد اتصلت هاتفياً بزوجها تيودور مرتبين قبل عدة لحظات من الاعتداء على البنتاغون. ولقد أكدت بأن الطائرة تعرضت للخطف وبأنها لم تتحطم في أوهايو كما اعتقد المراقبون الجويون المدنيون في البداية.

لكن هذه الشهادة تتطلب قدراً من التروي، فأولاً قد جرى نقلها بواسطة شخص ثالث هو تيم أوبريان صديق الأسرة والصحفي في قناة «سي.ان.ان» التلفزيونية. وقد قال بأن تيودور اولسون قال بأن زوجته قالت له. وثانياً ان تيودور أولسون هو محام عام في الولايات المتحدة ومقرّب جداً من ادارة الرئيس بوش الذي يسانده في كل مرة يواجه فيها متاعب. فمثلاً كان هو الذي دافع عن قضية جورج دبليو بوش عندما كان على «المحكمة العليا» ان تقرر نتائج الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠، وكان هو ايضاً الذي دافع عن نائب الرئيس ديك تشيني عندما رفض ان يقدم وثائق للكونغرس اثناء التحقيق حول فضيحة «انرون». وكان تيودور ولسون نفسه قد صرح أمام المحكمة العليا للولايات المتحدة الاميركية: «من السهل تخيل عدد لا يحصى من المواقف والأوضاع التي قد يحق لرسميين فيها شرعاً ان يقدموا معلومات مزيفة».

إن الكثير من الاشخاص فسّروا شهادة بربارة أولسون بأنها بمثابة تأكيد على تحطم الطائرة التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧ على البنتاغون. مع ذلك لا يوجد فيما قالته هذه السيدة أي شيء يسمح باستخلاص مثل هذه النتائج. وكان قد جرى نقل هذه الشهادة للمرة الأولى من قبل الصحفي «تيم

أوبريان» على موقع انترنت «سي.ان.ان» يوم ١٢ سبتمبر عند الساعة الثانية وست دقائق صباحاً. وقد دلّت فيها فقط على انه قد جرى خطف الطائرة وان الخاطفين مزودون بمشارط وسكاكين. وقد جاء فيما كتبه تيم أوبريان ما يلي: «لقد أخبرت بربارة أولسون زوجها بأن الطائرة قد اختطفت (....)، وقال زوجها بأنها قد اتصلت به مرتين بعد اقلاع الطائرة. وقال بأن زوجته قالت ان جميع ركاب الطائرة وطاقمها بمن في ذلك الطيارون، قد تم جمعهم في مؤخرة الطائرة من قبل قراصنة مسلحين، وكل ما تحدث عنه من أسلحة كان سكاكين ومشارط للورق المقوى. وقالت انها لديها الاحساس بأنه لم يكن هناك من يقود، وطلبت من زوجها ان يقول للطيار عمّا ينبغي عمله».

بعد ستة أشهر وفي ٥ مارس ٢٠٠٢ تحدث «تيودور أولسون» نفسه عمّا قالته زوجته عند مقابلة له مع صحيفة «فاميلي تليغراف» البريطانية، وقال انه كان يشاهد الاعتداءات على مركز التجارة العالمي عبر شاشة التلفزة عندما اتصلت به زوجته بالهاتف وقالت له فيما قالت بأنها موجودة في الجزء الخلفي من طائرة البوينغ ٧٥٧ التي كانت قد استقلتها. وأثناء الحديث وعندما حدّثها عن الاعتداءات ضد مركز التجارة العالمي انقطعت المكالمة فقام بعدها بالاتصال بمركز القيادة الوزاري التابع له كي يخبرهم بأن طائرة اخرى قد جرى خطفها. «رن جرس الهاتف مرة اخرى، وكانت بربارة على الطرف الآخر، كانت تريد ان تعرف ما ينبغي أن تقوله للطيار، وما يمكنها فعله وكيف يمكنها ان توقف كل ما يجري».

ويضيف أولسون قائلاً: لقد أردت معرفة أين توجد الطائرة وبأي اتجاه تطير لأنني كنت أعتقد أن ذلك كان أول ما ينبغي معرفته قبل أي شيء آخر. وقد حاولنا ان نتبادل العبارات التي تدفع للاطمئنان وبأن الأمور ستنتهي بسلام.. كانت لاتزال على قيد الحياة وكانت الطائرة في الجو، لكنني اعتقد بأنها كانت تعرف بأن الأمور لن تثمر بسلام وكنت أعرف بأنها لن تنتهي بسلام». وبعد ان تبادل الزوجان «أحاديث خاصة شخصية» انقطعت المكالمة من جديد، ومنذ ان عرف بأن طائرة قد ارتطمت بالبنتاغون قال: «عرفت انها كانت هي».

رواية أكثر دقة

هذه الرواية الجديدة هي أكثر دقة، ولكن ليس معروفاً أيضاً أين كانت الطائرة. فقد شرح أولسون انه كان يريد ان يعرف أين كانت والى أين تتجه. ويبدو ان زوجته ايضاً لم تكن تعرف الجواب. ومن الممكن افتراض ان تكون الطائرة قد تحطمت على البنتاغون. ولكن هذا مجرد افتراض على الرغم من قناعة زوجها بذلك، إذ انها لم تدل في شهادتها سوى على أمر واحد هو ان الطائرة لم تسقط عند الساعة ٨٥٥ وإنما جرى خطفها.. وهذا المصدر لا يؤكد إذن بأن الطائرة التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧ قد اتجهت نحو العاصمة الفيدرالية، كما يؤكد الجيش الذي يبقى بمثابة المصدر الوحيد المتوفر للمعلومات. والتأكيد بأن طائرة البوينغ ٧٥٧ ــ ٢٠٠ التابعة لشركة اميركان ايرلاينز التي كانت تقوم

بالرحلة ٧٧ من واشنطن الى لوس انجلوس هي التي ضربت البنتاغون يقتضي الثقة العمياء بجيش الولايات المتحدة الاميركية وبالرواية الرسمية التي قدّمها.

كتاب ــ بنتاجيت ــ الحلقة الخامسة ــ تأليف: تييري ميسان

عرض ومناقشة: د. محمد مخلوف

التناقضات ترتفع إلى قمتها، الرواية الرسمية لأحداث البنتاغون تثير التساؤلات في دوائر المسئولين

طرح العديد من المسئولين السياسيين الأميركيين تساؤلاتهم حول الرواية الرسمية التي قدمتها السلطات الأميركية للانفجار الذي استهدف مقر وزارة الدفاع الاميركية (البنتاغون) في الحادي عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١. فقد لاحظ هؤلاء المسئولون ان فترة تقارب خمساً وأربعين دقيقة قد مرّت بين لحظة تعطل جهاز الاستجابة للذبذبات الرادارية وبين تحطم الطائرة، فلماذا إذن لم يتدخل الطيران الأميركي المقاتل لاعتراض طائرة البوينغ؟ ولماذا لم تقم القوات الجوية الاميركية بحماية واشنطن؟

بتاريخ ١٣ سبتمبر ٢٠٠١، قام مجلس الشيوخ الأميركي باستجواب الجنرال ريتشارد مايرز الذي كان جورج بوش الرئيس الأميركي قد عينه قبل فترة وجيزة رئيساً لأركان الجيوش الاميركية. وكان ينبغي ان توافق لجنة القوات المسلحة في المجلس على ذلك التعيين، وبالتالي كان لقاء اللجنة معه مقرراً منذ فترة طويلة، ولم يكن يخص البحث في رد فعل الجيش الاميركي على اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

مع ذلك تم استجواب الجنرال الأميركي حول تلك المسألة، وبالطبع، حاول الرجل ان ينفي أي مسئولية للقوات المسلحة عما جرى. وفي معرض شرحه للأسباب التي أدت الى عدم اسقاط الطائرة البوينغ التابعة لشركة «اميركان ايرلاينز» التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧ من واشنطن الى لوس انجلوس أشار الى انها تكمن في كون الأوامر باقلاع الطيران المقاتل قد أعطيت بعد ان كان البنتاغون قد تعرّض للضربة، على حد علمي. كما قال.

وأضاف: «عندما تحددت طبيعة التهديد أعطينا الأوامر باقلاع الطائرات المطاردة وطائرات الاواكس وطائرات الرادار وطائرات التزويد وأخذت جميعها مواقعها في المدارات المطلوبة للتدخل في حالة وجود طائرات جديدة مخطوفة تكشفها منظومات ادارة المراقبة الجوية وفي لحظة ضرب مركز التجارة العالمي قمنا بتعبئة فريق الأزمات، وقد تمّ ذلك بصورة مباشرة».

هذه التصريحات للجنرال مايرز لم تتدرج في جميع النقاشات. وتدل أقواله على ان العسكريين الاميركيين ربما انتظروا حوالي ثلاثة أرباع الساعة قبل ان تقلع طائراتهم المقاتلة.

بعد يومين، وبتاريخ ١٦ سبتمبر، أصدرت القيادة الشمالية للدفاع عن المجال الجوي لأميركا الشمالية بياناً متناقضاً، حيث تحدثت عن التسلسل الزمني للأحداث الخاصة بخطف الطائرات، كما أخطرت بها ادارة المراقبة الجوية، وكذلك التسلسل الزمني لاعطائها الأوامر باقلاع الطائرات.

ويبدو ان قيادة الدفاع عن المجال الجوي لأميركا الشمالية لم يتم اخطارها باختطاف الطائرة التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧ إلا عند الساعة التاسعة وأربع وعشرين دقيقة، حيث أصدرت الأوامر فوراً لطائرتي «فانتوم ــ ١٦» للاقلاع، وقد أقلعتا بالفعل عند الساعة التاسعة وثلاثين دقيقة، أي بوقت متأخر جداً بالنسبة لامكانية منع «سقوط» طائرة البوينغ في حوالي الساعة التاسعة وسبع وثلاثين دقيقة.

يبدو من الواضح ان هذه الرواية تلقى المسئولية عن وقوع الكارثة على وكالة المراقبة الجوية، التي ربما قد انتظرت مدة سبع وعشرين دقيقة قبل ان تخطر السلطات المسئولة «العسكرية». لكن هذه الرواية لا توضح ايضاً حقيقة ردود فعل العسكريين، إذ في الوقت الذي تم فيه تعطيل جهاز الذبذبات الرادارية في الطائرة، لماذا لم يقم العسكريون أنفسهم برصدها باعتبارها طائرة غير معروفة الهوية؟ ولماذا لم يقوموا باجراءات التصدي لها كما يفعلون بشكل روتيني؟ ألا يمتلك الجيش أجهزة رادار؟ فإذا كانت بعض الرادارات المدنية «لا ترى» الطائرة في حال تعطيل جهاز الذبذبات الرادارية فإن الأمر مختلف بالنسبة للرادارات العسكرية التي تكشف جميع أنواع الآليات الطائرة، لماذا تم ارسال الطائرات المطاردة من قاعدة «لانجلي» في فيرجينيا وليس من قاعدة سان اندروز؟ إن القاعدة الأولى هي على بعد ١٠٥ أميال عن البنتاغون، بينما لا تبعد القاعدة الثانية سوى عشرة أميال..ولماذا تم ارسال طائرات فانتوم ــ ١٦ وليس فانتوم ــ ١٥؟ لاسيما وان هذه الأخيرة تطير بسرعة أكبر من الأولى؟.. لماذا تم إذن اختيار الطائرات الأقل سرعة؟ ولماذا تم ارسال طائرات وليس اطلاق صاروخ؟ ألم يكن ينبغي على العسكريين ان يسقطوا الطائرة؟ ولو كانوا يتمنون ان يسقطوا طائرة معادية فما كان عليهم سوى ان يرسلوا وراءها الصواريخ الأكثر سرعة بكثير من الطائرات.

بالاضافة الى هذا كله، كان وضع الأزمة القائم يقتضي الحرص على وجود طوق جوي من الطائرات المقاتلة فوق العاصمة من أجل تأمين أكبر قدر ممكن من الحماية ومثل هذه المهمة تقع على عاتق القاعدة الرئاسية في «سانت اندروز». ولربما ان اتخاذ مثل هذا الاجراء الاحترازي الأساسي كان قد منع ضرب البنتاغون، ولكن لم يتم اتخاذه. مع ذلك وقبل نصف ساعة من الاعتداء على البنتاغون كان الجنرال «رالف ابرهارت» قائد هيئة حماية اجواء أميركا الشمالية قد اتخذ الاجراءات الضرورية من أجل السيطرة على سماء نيويورك حيث كانت تحلق باستمرار عدة طائرات مقاتلة.

وبالنسبة للعسكريين ومنذ ان تم اخطارهم باختفاء الطائرة التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧، فإن الأمر لم يكن يتعلق بحادث تقني بسيط، لقد كانت المعطيات المتوفرة لديهم دقيقة بدرجة كافية، إذ بعد عدة دقائق من الهجمات الارهابية التي تم فيها استخدام طائرات مدنية ضد مركز التجارة العالمي في نيويورك، كانت هناك طائرة تم تعطيل جهاز الذبذبات الرادارية فيها وقائدها لم يعد يرد على الرسائل الموجهة له، ثم ان تلك الطائرة قد تم خطفها وتغيير وجهتها لتنحرف وتطير بسرعة نحو واشنطن، فمن هذه الشروط كان واجب العسكريين الجلي هو ان يسقطوا الطائرة المعادية بأقصر وقت ممكن. إن الرواية التي قدّمتها قيادة الدفاع عن المجال الجوي لأميركا الشمالية ربما استهدفت القاء مسئولية الكارثة على كاهل وكالة المراقبة الجوية، لكن هذه الرواية تبيّن ايضاً أنه لم تكن لدى الجيش الأميركي نية اسقاط الطائرة المتجهة الى واشنطن.

الرئيس ينقذ العسكريين

حاول نائب الرئيس الأميركي ديك تشيني ان يبرر غداة نشر البيان الخاص بالتسلسل الزمني للأحداث عدم كفاءة العسكريين عبر واقع ان اسقاط طائرة يقتضي «صدور قرار من الرئيس نفسه». ثم أكد انه نظراً لخطورة القرار الذي سيودي بحياة عدد من «المواطنين الأميركيين» فإنه ما كان للرئيس أن يتخذ مثل ذلك القرار على عجل. كذلك ركّز تشيني على القول انه كانت هناك طائرة تستهدف الرئيس الأميركي نفسه، وان طائرته كانت أيضاً هدفاً، حسب معلومات الأجهزة السرية. وبالتالي يمكن لكل انسان ان يتصور امكانية تأخير أي قرار في ظل حالة الذعر والتشوش التي كانت سائدة في ذلك اليوم.

مع ذلك، فإن تأكيد نائب الرئيس الأميركي خاطئ، إذ خلط في المقام الأول بين اعتراض طائرة وبين قرار اسقاطها، ذلك ان اعتراض طائرة يعني ان «تدخل» طائرات مقاتلة في «اتصال بصري» معها باعطائها بعض الأوامر عبر الاشارات الضوئية. أما اسقاط طائرة فيعني ان طائرات كانت على أهبة الاستعداد للقيام بالمهمة وتتلقى أوامر بفتح النار عليها. وفي المقام الثاني، أكد نائب الرئيس الأميركي بطريقة خاطئة ان مثل هذه الأوامر لا يمكن ان يصدرها أحد غير الرئيس الأميركي نفسه.

إن اعتراض أية طائرة مدنية مشبوهة من قبل الطائرات المقاتلة ــ المطاردة لا يحتاج الى أي قرار سياسي، بل كان ينبغي اتخاذ مثل هذا القرار يوم الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ منذ انقطاع الاتصال مع جهاز الذبذبات الرادارية في الطائرة، وما ينبغي للطائرات المقاتلة ان تقلع مباشرة، بغض النظر عن اصدار الأمر باسقاطها أو عدم صدور مثل ذلك الأمر، ذلك ان مثل هذا الأمر الخاص باطلاق النار يأتي فيما بعد. هنا لابد من التساؤل عن المرجعيات التي اعتمدها ديك تشيني عندما أكد ان مثل هذا القرار هو من صلاحيات القرصنة الجوية وتدمير آلية طائرة إنما يعود بالأحرى إلى وزير الدفاع، ولكن ليس له فقط.

وتدل القوانين المعمول بها على ان قرار اسقاط طائرة شركة «أميركان ايرلاينز» التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧ بين واشنطن ولوس انجلوس لم يكن يعود لجورج بوش الرئيس الأميركي، بل انه لم يكن محصوراً بوزير الدفاع دونالد رامسفيلد، وإنما بالأحرى كان عائداً بالدرجة الأولى الى المسئولين العسكريين وفي مقدمتهم الجنرال رالف ايبرهارت قائد أركان هيئة قيادة الدفاع عن المجال الجوي لأميركا الشمالية. بالمقابل وكلّما أحرز التحقيق بعض التقدم كان يصبح من الصعب أكثر على العسكريين ان يثبتوا صحة الرواية الرسمية. كما ان أي تصريح جديد كان يطرح أسئلة جديدة. ويبدو انه كلما كانت الطائرة «الشبح» تقترب من البنتاغون كانت ايضاحات العسكريين تبدو على درجة أكبر من عدم التناسق.

البنتاغون لم يتحرك

هناك خمس بطاريات لاطلاق صواريخ متطورة جداً مهمتها حماية قيادة جيش الولايات المتحدة الأميركية من أي هجوم جوي، فكيف يمكن تفسير عدم استخدام وسائل الدفاع الجوي؟

لقد أشار الكولونيل فيل فارزنسكي، أحد الناطقين الرسميين باسم البنتاغون الى ان العسكريين الأميركيين لم يكونوا ينتظرون مثل هذا الهجوم، إذ قال: «اننا لم نكن ندرك ان تلك الطائرة تستهدفنا». مثل هذا التفسير غير مقنع، إذ ان البنتاغون وقياداته كانوا يعرفون ان آلية طائرة غير معروفة الهوية تنقض على واشنطن. ففي ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كانت الاتصالات بين المراقبين الجويين المدنيين والسلطات الاتحادية المختلفة على أكمل وجه، إذ لم يكن أولئك المراقبون على اتصال مع وزارة الدفاع الأميركية وإنما ايضاً مع البيت الأبيض. فمنذ الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والعشرين لاحظ برج المراقبة في مطار دالاس ان آلية طائرة تتجه نحو العاصمة. وقد كتبت صحيفة «واشنطن بوست» بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠٠١: «لقد رصد المراقبون الجويون في مطار دالاس طائرة تطير بسرعة كبيرة، وتتجه مباشرة نحو المجال الجوي المحظور فوق البيت الأبيض».

وقد أكد ديك تشيني نائب الرئيس الأميركي من جهة اخرى ان «الجهاز السري قد أقام خطاً هاتفياً مباشراً مع ادارة المراقبة الجوية» منذ اللحظة التي ضرب فيها مركز التجارة العالمي.

من جهة أخرى، يوجد مسئولون من ادارة المراقبة الجوية باستمرار في قاعدة «سانت اندروز» العسكرية المكلفة بحماية العاصمة الأميركية. وقد جاء في ايضاحات موقع الانترنت التابع للقاعدة: «ان موظفي ادارة الرقابة الجوية في سانت أندروز مسئولون عن حماية منشآت المطار وعن مراقبة الحركة الجوية فوق القاعدة وحولها». وأضاف: «ان الرجال والنساء العاملين في ادارة المراقبة الجوية يؤمّنون رقابة وصيانة الشبكة المعقدة لمنشآت الملاحة الجوية والرقابة الجوية كجزء من منظومة المجال الجوي القومي. وتكمن مهمتهم في تأمين سلامة الحركة الجوية في سماء الأمة».

إن العسكريين قد جرى انذارهم إذن فوراً بالمعلومات التي كانت تمتلكها ادارة الرقابة الجوية الفيدرالية بفترة اثنتي عشرة دقيقة قبل الاعتداء على واشنطن.

لكن الجيش الاميركي لا ينتظر ادارة مراقبة الجو كي يعرف بأن الية طائرة تتجه نحو واشنطن. ذلك انه لديه اجهزة رادار متقدمة جدا تفوق كثيرا الاجهزة المدنية فنظام «باث باوس» يتم استخدامه، مثلا، بصورة اساسية من اجل الكشف عن الآليات التي يصعب كشفها مثل الصواريخ التي تطير على ارتفاع منخفض جدا، ولا يخفي على هذا النظام اي شيء في المجال الجوي الاميركي الشمالي ــ الولايات المتحدة وكندا ــ ونقرأ فيما جاء عنه في موقع الانترنت الرسمي الخاص به انه: «يستطيع اكتشاف ومتابعة عدد كبير من الاهداف المتحركة، مثلما هي الحال عند هجوم كبير بالصواريخ البالستية التي يتم اطلاقها من غواصات وفضلا عن وظائف الاتصال والتحليل والكشف، ينبغي ان يستطيع النظام التمييز سريعا بين مختلف المقذوفات وحساب نقطة انطلاقها ونقطة وصولها هدفها».

هذا يعني انه على عكس تأكيدات البنتاغون، كان العسكريون الاميركيون يعرفون تماما ان آلية طائرة تتجه نحو واشنطن ومع ذلك لم يقوموا برد فعل ولم تقم بطاريات الدفاع الجوي التابعة للبنتاغون بأي محاولة لحمايته فلماذا؟ ان مهمة هذه البطاريات هي تدمير اي صاروخ يحاول الاقتراب من المبنى، وبشكل طبيعي لا ينبغي ان يكون باستطاعة اي صاروخ المرور اما بالنسبة لطائرة بوينغ ٧٥٧ ــ ٢٠٠ فليس هناك أية امكانية قطعا للمرور من هنا ينبغي تقديم تفسير عما اذا كان الامر يتعلق بطائرة ركاب ام بصاروخ.

<u>فهل الصناعة العسكرية للولايات المتحدة غير فاعلة على الاطلاق؟ ام هل تعرضت للتخريب؟</u>

فاذا كان الامر يتعلق بصاروخ، فلعله تمكن صياغة فرضية لتفسير غياب رد المنظومة الدفاعية. وكل آلة عسكرية للدفاع تمتلك جهاز ذبذبات رادارية اكثر تقدما بكثير من الاجهزة التي تملكها الطائرات المدنية ويسمح لها خاصة بالتعرف عما اذا كان الهدف صديقا ام معاديا، ومثل هذا الجهاز لابد منه من رصد آليات عديدة اثناء المعركة وايضا من اجل عدم تدمير الآليات المعادية فمثلا لا ينبغي ان تقوم بطارية مضادة للصواريخ باسقاط صاروخ صديق عابر وليس مستحيلا ان يكون هذا ما جرى يوم الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ في البنتاغون.

حصر المسئولية

من الغريب انه تم تقديم قيادة حماية اجواء اميركا الشمالية على انها المسئولة عن الدفاع الجوي بشكل كامل يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وبالتالي فان الهيئة التي تم تأسيسها بالاشتراك مع كندا من حماية

المجال الجوي الاميركي الشمالي كله لا تعمل سوى لتنفيذ القرارات التي يتخذها مركز القيادة العسكري القومي في البنتاغون.

ان مركز القيادة العسكري القومي هو الذي تتجمع لديه كل المعلومات الخاصة بعمليات خطف الطائرات، وهو الذي يقود العمليات العسكرية وليس قيادة حماية اجواء اميركا الشمالية. وقد جاء في نص رسمي صادر عن قيادة الاركان مايلي: «ان مركز القيادة العسكري القومي هو بمثابة مكتب تنسيق بين وزارة الدفاع وادارة المراقبة الجوية والقيادات الميدانية. ان هذه الهيئات كلها ومراكز القيادة الموحدة والعناصر الاميركية العاملة في اطار قيادة حماية اجواء اميركا الشمالية ــ التي تضم ايضا كنديين ــ مسئولة كلها عن تنفيذ هذه التعليمات او اي توجيه او قانون او تشريع دولي آخر خاص بعمليات القرصنة الجوية او بالاليات الطيارة الجانحة» هذا التوجيه يجد صداه في النظام الداخلي لــ «ادارة المراقبة الجوية» الذي ينص على ان يطلب «مسئول حالات خطف الطائرات في ادارة المراقبة الجوية الذي يعمل بالتعاون الوثيق مع مركز القيادة العسكري القومي، مرافقة عسكرية».

في صباح ذلك اليوم ــ ١١ سبتمبر ــ كان مركز القيادة العسكري القومي في حالة تعبئة قصوى، اذ كان قد تم الشروع في اتخاذ الاجراءات الخاصة بادارة الازمات، فالمركز هو بمثابة الجهاز العصبي لمختلف العمليات العسكرية، وقد قالت فكتوريا كلارك ، مساعدة وزيرة الدفاع: « في الواقع عند الساعة مابين ٨,٤٠ و ٨,٤٥ صباحا شهدنا اللحظة الاكثر رعبا، عندما علمنا ان طائرة اولى ثم طائرة ثانية قد صدمتا برجي المركز التجاري العالمي، عندها تم استدعاء فريق ادارة الازمات حالا».

ثم اضافت: «ذهب بعضنا مباشرة الى مكتب وزير الدفاع دونالد رامسفيلد من اجل اخطاره بأنه قد تم الشروع بالعمل حسب متطلبات ادارة الازمات كان يريد ان يجري بعض المكالمات التي تقيه، فما كان من عدد منا الا ان توجهوا الى الطرف الآخر من البهو حيث يوجد مركز القيادة العسكري القومي».

هذا يعني ان هذا المركز هو الذي قاد في قلب البنتاغون، عمليات التنسيق وليس قيادة حماية اجواء اميركا الشمالية، وكانت ادارة المراقبة الجوية قد رفعت كل المعلومات الخاصة بالطائرات المخطوفة، والتي تفيد ان آلية طائرة تتجه صوب العاصمة، مع ذلك تم تقديم قيادة حماية اجواء اميركا الشمالية من قبل وسائل الاعلام وكأنها هي الجهة المسئولة الوحيدة، اي كأنها كانت بمثابة كبش الفداء الذي يمكن تحميله فشل العمليات.

ان قائد اركان الجيوش هو السلطة العليا في مركز القيادة العسكري القومي، وبتاريخ ١١ سبتمبر كان الجنرال هنري شيلتون هو الذي يقوم بمهام ذلك المنصب لكنه كان، في سماء المحيط الاطلسي، بطريقة اوروبا، وبالتالي كان مساعده هو الذي يحل مكانه عند غيابه كي يؤمن استمرارية دفاع الولايات المتحدة، ولكن الجنرال ريتشارد مايرز، لم يكن هو الآخر موجودا، حيث اكد انه شاهد الاعتداءات على شاشة التلفزيون «كما تتم مشاهدة فيلم مقيت، لقد كان اثناء الهجمات في الكابيتول هيل، حيث لحظ شاشة تلفزيون وشروحا تفيد بأن طائرة قد ضربت مركز التجارة العالمي، وعندما تم ضرب البرج الثاني قال الجنرال الذي كان في مكتب السيناتور ماكس كليلاند: «لم يخبرنا أحد بذلك»، ثم أضاف: «لكن عندما خرجنا كان الأمر واضحاً.. عندما قال لنا أحدهم ان البنتاغون قد تعرّض ايضاً للضرب». وبعد هذه الأحداث كلها توجه الجنرال الى مركز القيادة العسكري القومي.

يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ دلّت جميع المعلومات الموزعة على ان المسئول الوحيد هو قيادة حماية اجواء أميركا الشمالية وقائدها الجنرال «رالف ابرهارت». لقد تم نسيان أو تناسي ان مركز القيادة العسكري القومي هو بمثابة المركز العصبي لجميع العمليات.

<u>مع ذلك يبقى اختفاء الطائرة التي كانت تقوم بالرحلة ٧٧ التابعة لشركة اميركان ايرلاينز ليس مفهوماً الى جانب العديد من الأحداث الاخرى، ثم ان معرفة ما حصل للطائرة ولطاقمها ولمسافريها لابد من الثقة بالعسكريين، لكن تفسيراتهم لا توضح الأمر وإنما توضح بالأحرى «عدم كفاءة» أكبر جيش في العالم.</u>

كتاب بنتاجيت، الحلقة الاخيرة: طالبت بفضح "المسكوت عليه"
تأليف: تييري ميسان، عرض ومناقشة: د. محمد مخلوف

تييري ميسان مؤلف هذا الكتاب هو صاحب كتاب «التزييف المخيف» الذي أثار ضجة كبرى بسبب ما يحمله من اتهامات خطيرة لإدارة الرئيس الأميركي جورج بوش حول تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث كانت الاطروحة الرئيسية لذلك الكتاب هي انه لم تكن هناك اية طائرة قد صدمت «البنتاغون».

اما الكتاب الذي نناقشه هنا وكما يقدمه تييري ميسان فليس استكمالاً للكتاب السابق «التزييف المخيف» وإنما هو استكمال للتحقيق حول الاعتداء الذي استهدف مبنى وزارة الدفاع الاميركية «بنتاغون» يوم الحادي عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١.

وما يجعل هذا التحقيق مهماً ومثيراً وجديراً بالقراءة الواعية هو أنه يطرح سلسلة من علامات الاستفهام تبدو واشنطن الرسمية عاجزة عن الاجابة عنها، وراغبة في إسدال ستار الصمت التام عليها.

ارتفعت اصوات عديدة وحتى في الولايات المتحدة نفسها تطالب بتفسير ما حدث يوم الحادي عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١، ومن هذه الاصوات ما كانت قد طالبت به سنتيا مككيني عضوة الكونغرس «الديمقراطية» عن الدائرة الرابعة في ولاية جورجيا وقد جاء في اقوالها يوم ١٢ ابريل ٢٠٠٢ ما يلي: «ان ضرورة فتح تحقيق حول احداث ١١ سبتمبر ليست اقل اهمية من تفحص الظروف التي ادت الى افلاس شركة إنرون واذا كان للشعب الاميركي الحق بأن يطالب بكشف حساب حول ماجرى وما سبب افلاس شركة انرون وهذا من حقه طبعا فإنه من حقنا ايضا ان نعرف ماذا حدث ولماذا؟ في يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

فهل نحن بصدد احاطة عاصمتنا بالتعاطف عبر العالم بتبنينا سياسات غير متناسقة وذات نزعة حربية ليس من شأنها سوى ان تبعد عن اصدقاءنا وتجعلنا في موقع التعارض مع حلفائنا؟ والى اي حد تثقل تبعيتنا للواردات النفطية على السياسات العسكرية المدعومة من قبل ادارة الرئيس بوش؟ وهل التقارب الكبير بين ادارة بوش وصناعات البترول، والصناعات الدفاعية يلعب دورا ام لا في صياغة سياسات هذه الادارة؟ ان لنا الحق في ان نعرف ماذا جرى يوم ١١ سبتمبر، ولماذا جرى؟الا نقوم بتشكيل لجان تحقيق حول كوارث السكك الحديدية وحوادث الطائرات بل فصول الكوارث الطبيعية من اجل فهم اسبابها والوقاية من تبعاتها ــ او التخفيف من النتائج المأساوية في حال تكرار مثل هذه الحوادث؟ فلماذا اذن في هذه الحالة ــ ١١ سبتمبر ــ تبقى الادارة معترضة بحزم على اجراء اي تحقيق حول الهجوم الارهابي الذي ادى الى اكبر عدد من الضحايا مقارنة بأي هجوم آخر من هذا النوع استهدف بلادنا.

ومن خلال التحقيقات المنشورة في مجلة «ديرشبيجل» او في «الاوبزرفر» اللندنية؟ او في «لوس انجلوس تايم» او عبر شارات التلفزة كما فعلت قناة «سي. ان. ان» وغيرها يبدو ان هذه الادارة قد تلقت تحذيرات عديدة مما جرى بل روي البعض ان الحكومة الاميركية قد كشفت اسرار اتصالات اسامة بن لادن قبل ١١ سبتمبر.

ان حكومة الولايات المتحدة هي اليوم امام مقاضاة قانونية بسبب دعاوى اقامها الاحياء الذين نجوا من الاعتداء ضد السفارات الاميركية في افريقيا، ويبدو بالاعتماد على محاضر الجلسات ان الولايات المتحدة قد تلقت تحذيرات لكنها اتخذت اجراءات غير كافية لضمان حماية أمن سفاراتنا وموظفيها.

فهل جرى اليوم الامر نفسه؟ ليس لدي اي عنصر يبرهن على ان الرئيس بوش او اعضاء من ادارته قد استفادوا شخصيا من هجمات ١١ سبتمبر، لكن قد يمكن لتحقيق كامل أن يكشف عن مثل هذا الامر، مثلا، من المعروف انه في لحظة الهجوم، كان والد الرئيس بوش يقيم علاقات تجارية بواسطة مجموعة «كارليل» مع شركة البناء التابعة لعائلة ابن لادن ومع عدة شركات مرتبطة مع الصناعات الدفاعية والتي ازدادت نشاطاتها بشكل ملموس وكبير منذ ١١ سبتمبر.

بالمقابل، لا يمكن نفي ان الشركات القريبة من الحكومة قد استفادت مباشرة من زيادة النفقات العسكرية اثر احداث ١١ سبتمبر ومن هذه الشركات مجموعة «كارليل» ومجموعة «دينكورب» ومجموعة «هاليبورتون» وكان دونالد رامسفيلد قد اكد خلال عملية استجواب امام الكونغرس انه يمكننا ان نواجه هذه النفقات الجديدة، ولو انها تمثل اكبر زيادة منذ عشرين سنة.

ولقد تمت مطالبة الشعب الاميركي بأكمله بتقديم تضحيات وعلى مستوى القوات المسلحة يعرض شباب وشابات حياتهم للخطر في حرب ضد الارهاب ولكن القرار الاول الذي وقعه رئيسنا رفض ان يوافق على علاوة مضاعفة مقابل الساعات الاضافية اثناء العمليات.

اما الشعب الاميركي فانه مطالب بتضحيات عبر تحمله النتائج السيئة في الميزانيات الاجتماعية للبلاد وفي ميدان العلاج الصحي والضمان الاجتماعي والحريات الفردية، وهذا كله من اجل مواجهة اعادة النظر بالرفع الى اعلى بالاحتياجات العسكرية واحتياجات الأمن بعد احداث ١١ سبتمبر. وانه لمن الضروري ان يعرف الناس اسباب التضحيات المطلوبة منهم، واذا كان وزير الدفاع يقول لنا ان اهدافه العسكرية الجديدة هي احتلال عواصم اجنبية وقلب انظمة فانه من حق الشعب الاميركي ان يعرف سبب ذلك.

سيكون من السهل على هذه الادارة ان تشرح للشعب الاميركي سبب طلب التضحيات منه وعما اذا كانت تجلب قدرا اكبر من الامن. واذا لم تكن قادرة على تقديم اجابات، فان مهمة ذلك تعود الى الكونغرس.

ان الزمن لم يعد زمن الابواب الموصدة والاسرار. فمصداقية البلاد امام العالم كما امام شعبها تعتمد على قدرتها على تقديم اجابات لها مصداقيتها على هذه الاسئلة، وبينما يترنح العالم على حافة النزاعات تبدو سياسات الحكومة غامضة ومترددة ومستعصية على فك رموزها.

ان نزاعات مصالح كبرى يتورط فيها الرئيس والنائب العام ونائب الرئيس وآخرون في الادارة قد تم الكشف عنها ولا تزال عملية الكشف سارية.

لقد حان الوقت لممارسة زعامة وكفاءة في التقدير لا شائبة فيهما، لقد حان وقت الشفافية والقيام بعملية تحقيق معمق.

لماذا يرفضون التحقيق؟

بتاريخ ١٦ مايو ٢٠٠٢ كتبت سنتيا مككيني تحت عنوان «الناطقون الرسميون باسم المؤسسة العسكرية ــ الصناعية يسخرون مني ويصفونني بأنني من انصار نظرية المؤامرة» وقالت: «طلبت منذ عدة اسابيع اجراء تحقيق برلماني يهدف الى معرفة التحذيرات التي تلقتها ادارة الرئيس بوش قبل اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ولهذا سخر مني البيت الابيض وناطقون رسميون باسم المؤسسة العسكرية ــ الصناعية ووصفوني بأنني من انصار نظرية المؤامرة.

بل انهم شككوا بوطنيتي لانني تجرأت وألمحت الى انه ينبغي على الكونغرس ان يقوم بتحقيق كامل حول اكبر فشل خطير في ميدان الاستخبارات طيلة تاريخ الولايات المتحدة ووصل الحد زيل ميلر سناتور جورجيا الى وصف طلبي باجراء استقصاءات بانه «خطير وابله وخالٍ من المسئولية».

ان ما تم الكشف عنه من ان الادارة والرئيس جورج بوش قد تلقيا تحذيرات منذ عدة اشهر تؤكد ان عملا ارهابيا كان يرتسم بوضوح في الافق يقتضي قيام الكونغرس بعملية استقصاء وتحقيق معمقة.

كما ان الاسباب التي تدعو ادارة بوش الى معارضة اية استجوابات برلمانية انما هي اسباب واضحة فهذه الادارة قد التزمت الصمت، ولو لم يكن الوطنيون الملتزمون قد دفعوا نحو الشفافية فلا شك بأن البيت الابيض سيخفي ما كان قد تم الكشف عنه.

ولانني احب بلادي، ولانني وطنية، ولان الشعب الاميركي يستحق ان يعرف الحقيقة، فانني اعتقد انه من الخطر والبلاهة وانعدام المسئولية عدم القيام بتحقيق شامل من قبل الكونغرس حول موضوع جميع التحذيرات التي كانت قد وصلت الى ادارة الرئيس جورج دبليو بوش قبل الحادي عشر من شهر سبتمبر.

ومنذ ان اصبحت عضوا في الكونغرس عام ١٩٩٢ كان هناك من حاولوا اسكاتي، لقد قيل لي «اجلسي واخرسي» مرات ومرات حسنا، انني لن اجلس ولن اخرس قبل ان تتوضح الحقيقة بكل جلاء ومن دون أي تزيين امام الشعب الاميركي.

مؤامرة الصمت

بالاضافة الى كتابات سنتيا مككيني النائبة الديمقراطية تقول «فاليري لابروس» من وكالة «ديجيبرس» للصحافة بمناقشة افكار عدد من الذين طرحوا آراءهم حول تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بين مؤيد للرواية الرسمية الاميركية وبين معارض لها.

وتحت عنوان «مؤامرة الصمت» كتبت لابروس تقول ان سنتيا مككيني قد شنت بعد ايام قليلة من تفجيرات ١١ سبتمبر حملة عنيفة ضد السلطان المفاجيء لادارة الرئيس بوش وضد تقليص الحريات. وقد سألت مككيني عما كانت تعرفه الادارة الاميركية ومتى كانت تعرفه ولم تتردد في ان تطلب اعلان الاسباب التي كانت وراء عدم اتخاذ اي اجراء أمني قبل ١١ سبتمبر، هذا في الوقت الذي كانت وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية «سي. ان. ان» ومكتب التحقيقات الفيدرالي «اف. بي. اي» لديهما، كما يبدو معلومات عن هجمات وشيكة عى الاراضي الاميركية.

كذلك تتساءل سنتيا مككيني حول مصير ضابط استخبارات اميركي سجين في كندا يدعى ويلمار مريلاند حاول ان يحيط الاجهزة السرية الكندية علما بالاعتداءات قبل وقوعها وقد كان ما يشغل النائبة هو نفسه ما يشاركها به اكثر من اثني عشر الف مواطن، اغلبيتهم من الاميركيين وقعا على عريضة يطالبون فيها باجراء تحقيق حول «خصوصيات» احداث ١١ سبتمبر، وقد صرحت لوري برايس التي كانت وراء تلك العريضة، لوكالة «ديجيبرس» بأنها سترسل نسخة من تلك الوثيقة لنائبة جورجيا في الكونغرس التي تحرص على ان تستجيب لتساؤلات مواطنيها وتعبر عنها.

ولا تتردد سنتيا مككيني في اتهام ادارة الرئيس بوش بأنها قد اوفدت توني بلير، رئيس وزراء بريطانيا، الى عدة بلدان وتصفه بأنه «وزير الخارجية الاميركي الحقيقي» بدلا من كولن باول الذي كان قد وعد بشيء من التسرع باعداد تقرير حول الاحداث، وقد جر عناد النائبة عليها صواعق الجمهوريين الذين نعتوها بأنها غير وطنية. لكن كان يمكن ان يؤدي التحقيق المعمق حول الاحداث الى الكشف عن اكثر مما ينبغي من المعلومات. ولم يكن الجمهوريون يريدون ذلك ولم يكن الديمقراطيون ليغامروا بمثل هذه المخاطرة، كما بدا من موقف توماس داشد زعيم الديمقراطيين في مجلس الشيوخ آنذاك الذي اضطر للخضوع لمنطق الفكر ذي الاتجاه الواحد، اذ ان من يكون ضد الحرب هو ايضا ضد الولايات المتحدة، وقد قالت مككيني بلهجة قلدت فيها طريقة الرئيس جورج بوش: «في لحظة تسود فيها الوحدة الوطنية لا يمكن ان نسمح لأنفسنا بذلك (...) إذن دعونا نتابع حربنا ضد الارهاب». وهذا ما تسميه سنتيا مككيني بـــ «مؤامرة الصمت».

كذلك تتساءل سنتيا مككيني عن سر الارباح الهائلة الناجمة عن حركات الاموال غير المعتادة في البورصات قبل عدة أيام فقط من اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وتؤكد ان المبالغ المعنية تبلغ مليارات الدولارات.

وماذا عن الرحلة ٧٧ التي كانت تقوم بها طائرة البوينغ ٧٥٧ ــ ٢٠٠ التابعة للخطوط الجوية الاميركية «اميركان ايرلاينز» والتي صدمت البنتاغون؟ إذا كانت سنتيا مككيني لم تقرأ كتاب تييري ميسان الذي يحمل عنوان «التزييف المخيف» فإنها قد اطلعت على وثيقة يعتمد عليها ايضاً المؤلف في كتابه. إن صحافي التحقيقات الاميركي جيمس بامفورد أعاد نشر هذه الوثيقة في كتابه الذي يحمل عنوان «حشد من الاسرار» وتدل الوثيقة على ان بعض اعضاء رئاسة أركان الجيوش الأميركية كانوا قد فكروا ووافقوا قبل أربعين سنة على تنظيم اعتداءات على الأراضي الاميركية بحيث يتم تحميل مسئوليتها للنظام الكوبي للقيام بهجوم ضد فيدل كاسترو.

وقد تساءلت عضوة الكونغرس الأميركي: «إذا كان مثل هذا الأمر قابلاً للتصور قبل اربعين سنة، فلماذا لا يتكرر اليوم؟» ولاتزال سنتيا مككيني ترى ان الاسئلة الحقيقية لاتزال قائمة، إذن من هم مرتكبو الاعتداءات؟ ولماذا وكيف ومن قدّم مساعدات لهم؟ ومن كان يعرف؟ ومن الذي سمح باتيان مثل هذا العمل؟ (...) ان من حق الشعب الاميركي ان يحصل على اجابات عن مثل هذه الاسئلة. فهل ساهمت نائبة جورجيا في تحطيم محظور ما؟ ليس الرد بالايجاب مؤكداً إذ قد يمكن إخماد صوتها بواسطة اجراءات أمنية محتملة.

في مواجهة ما كتبته وما قالته النائبة الديمقراطية في الكونغرس الاميركي عن الدائرة الرابعة في ولاية جورجيا سنتيا مككيني، تقدم «فاليري لابروس» ايضاً بعض الشهادات التي تذهب في الاتجاه الآخر تماماً، مثل شهادة الصحافي مايك والتر الذي يعمل في صحيفة «يو.اس.ايه توداي» والذي أكد انه رأى كل شيء، الطائرة ومسارها والصدمة وقطع الحطام المتناثرة.

في صباح ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كان مايك والتر يقود سيارته في طريق «كولومبيا بايك» حيث كان مبنى البنتاغون على يمينه ويبعد عدة مئات من الامتار فقط عنه، عندما رأى طائرة تابعة لشركة اميركان ايرلاينز تمر فوقه من جهة اليسار، وكانت تطير في الاتجاه المعاكس للبنتاغون، لكنه رآها وهي تدور «على مهل». ولكن عندما أكملت انعطافها أسرعت بتحليقها وانقضّت على البنتاغون.

إن شهادة مايك والتر ذات أهمية كبيرة، لأنه يصف جميع مراحل الكارثة بداية من مسار الطائرة وحتى الصدمة النهائية ومروراً بالدوران البطيء نسبياً ثم التسارع الكبير، ويقول ايضاً انه رأى شارة «اميركان ايرلاينز» لحظة دورانها باتجاه مبنى البنتاغون حيث انها كانت تطير على ارتفاع منخفض ومن دون الشروع باستخدام آلية الهبوط. وقد أكدت تصريحاته الشهادات الاخرى التي تفيد ان الطائرة قد ارتطمت بمصباح كهربائي ولم تصدم الارض قبل تحطمها مباشرة في المبنى. كان السير مزدحماً وكان يسير ببطء والمكان الذي كان فيه كان مطلاً بدون عوائق تحجب الرؤية. وهكذا رأى شظايا الطائرة، وعندما سئل عن شهادته الأولى لمحطة «سي.ان.ان» التلفزيونية والتي وصف بها الآلية الطائرة بأنها كانت مثل «صاروخ بجناحين» قال بأنه استخدم مجرد تشبيه وهو يؤكد ان ما رآه

«لم يكن صاروخاً ولم يكن قنبلة، وإنما طائرة تابعة لشركة اميركان ايرلاينز، وقد رأيتها وهي تنقض على مبنى البنتاغون».

وإذا بدا ان مايك والتر مقتنع ومقنع فإن نقطة مظلمة لاتزال موجودة في «اللوحة» التي رسمها، إذ انه الشاهد الوحيد الذي رأى حطام الطائرة وقطعاً متناثرة منها. والسؤال هنا هو: هل هذا يعود للموقع المتميز الذي كان فيه مقابل البنتاغون عندما حدث الانفجار؟ أياً كان الأمر وبغض النظر عن الجدل الذي أثارته أطروحات تييري ميسان في كتابه «التزييف المخيف» فإن فاليري لابروس طرحت على مايك والتر، باعتباره صحافياً ايضاً، سؤالاً حول نتائج «الميثاق الوطني» على حرية الصحافة الاميركية. إن اجراءات الحد من هامش الحرية المتضمنة في هذا النص سرى مفعولها يوم الحادي عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١، كما انها شكلت موضوع تقرير أعدته «لجنة التحقيق حول الحريات الصحفية» واختارت له عنواناً يقول: «كيف أعاقت الحرب ضد الارهاب امكانية الوصول الى المعلومات وحق الجمهور في الإعلام».

وقد تحدث هذا التقرير بشكل خاص عن الصعوبات التي واجهها الصحفيون اثناء اجراء تحقيقاتهم في افغانستان والذين منعهم العسكريون من الدخول الى المناطق الاستراتيجية.

إن «مايك والتر» لا ينفي وجود مثل هذه العوائق، ولكنها لا تشكل بالنسبة له أمراً جديداً، فالشفافية لم تكن جوهرياً من السمات الملازمة للعسكريين. لكنه مع ذلك لا يستطيع تصور امكانية ان تكون هناك أية مسئولية لقيادة أركان الجيوش أو للحكومة في أحداث ١١ سبتمبر، إذ انه يرى بأنه لو كانت هناك أية مسئولية فإنها كانت قد ظهرت. يقول: «لا أحد في هذه البلاد يستطيع كتمان سر، خاصة لا يستطيع العسكريون ولا تستطيع الحكومة ذلك».

مخبأ الأسرار

هناك شهادات كثيرة حول ما جرى يوم الحادي عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١. واسئلة كثيرة ايضاً، كما يبدو، من الجدل الكبير الذي أثارته أطروحات تييري ميسان في كتابه «التزييف المخيف». ولم يتردد السيناتور الأميركي الجمهوري «إيد روسيس» الذي لم ير الحادث في التأكيد بأن الأمر يتعلق بطائرة بوينغ ٧٥٧ ــ ٢٠٠ تابعة لشركة أميركان ايرلاينز، فهو يعرف «شخصياً» بعض الضحايا وخاصة قبطان الطائرة الذي كان زميل دراسته، وبدا هذا «البرهان» كافياً بالنسبة له، اما من يقول غير ذلك فهو ليس سوى من «المشككين» وأصحاب الدعاية المغرضة وعلى رأسي هؤلاء يذكر السيناتور الاميركي اسم تييري ميسان. وعلى عكس النائبة الديمقراطية سنتيا مككيني التي طالبت بفتح تحقيق برلماني فإنه يرى من جهته انه ليس هناك أي حاجة تدعو لمثل هذا التحقيق لأن «الأمور واضحة».

لكن فاليري لابروس من وكالة «ديجيبرس» تؤكد ان سيناتور كاليفونيا قد تهرّب من بعض الأسئلة، مثل معرفة رأيه بذلك الاتصال الهاتفي الذي تلقته الأجهزة السرية في البيت الأبيض والصادر عن مجهولين «دخلوا على الخط» عبر استخدام الرموز الخاصة بالرئاسة.. وحيث كانت هذه المعلومة قد نشرت من قبل «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز» و«وورلد نت دايلي» بالوقت نفسه؟ لقد تجنب ايد رويس الاجابة وأظهر باعتقاده ان مصدر هذه المعلومة هو كتاب «التزييف المخيف و«المنسوج من الأكاذيب» على حد قوله.. لكنها إذن «أكاذيب أميركية»، إذ ان أكبر الصحف الاميركية هي التي نشرت الخبر.

إن شهوداً آخرين رأوا ما جرى وكأنه «كابوس» مثل جيمس ريان الموظف في شركة للمعلوماتية والملحق الصحفي السابق، أو مثلما لو ان الأمر كان في فيلم «صور متحركة» كما قال ستيف ريسكوس العامل ايضاً في حقل المعلوماتية، والعديد من الناس أكدوا انهم تعرفوا على شارة الطائرة وبأنها تابعة لشركة اميركان ايرلاينز، هذا ما قالوه عندما وجهت وكالة «ديجيبرس» اسئلة لهم، لكن فاليري لابروس التي أجرت «الأحاديث» تؤكد بأن مكتب التحقيقات الفيدرالي الاميركي رفض مقابلتهم، لكنه قبل الاجابة عن بعض الاسئلة بالهاتف، لقد أكد ممثلوه بمناسبة تصريح رسمي حول كتاب تييري ميسان ان جميع عناصر البرهان الخاصة بوجود طائرة هي بحوزتهم، مع ذلك وعندما طلب منه ابداء سبب عدم عرضها أمام الصحافة والرأي العام كي يسكتوا مناوئي الرواية الرسمية، صرح زيد مورناي الناطق الرسمي باسم مكتب التحقيقات الفيدرالي الاميركي بأن «التحقيق لم يكتمل بعد» وبالتالي ستبقى البراهين في مخزن الأسرار.